الجزر الجعفرية

من 1848 إلى بداية القرن الواحد والعشرين

The Chafarinas Islands: From 1848 to the beginning of the 21st century

تأليف:

كارلوس إيسكمبري إينوخو

ترجمة:

محمد عبد المومن

تقديم ومراجعة:

د. مصطفى المرون

BY: Carlos Esquembri Hinojo

Translation: Mohamed Abdelmoumen

Submission and review: Dr. Mustapha El Merroun

Plano de las islas Chafarinas.

Isabel 2ª

Iª del Rey

Iª Congreso

Escala de 1 por 10000 metros.

Cadiz 8 de Febrero de 1889.
El Ingeniero.

الجزر الجعفرية

من 1848 إلى بداية القرن الواحد والعشرين

تأليف:

كارلوس إيسكمبري إينوخو

ترجمة:

محمد عبد المومن

تقديم ومراجعة:

د. مصطفى المرون

إصدارات دار "إي-كتب"

لندن، يوليو – تموز 2019

The Chafarinas Islands: From 1848 to the beginning of the 21st century
BY: Carlos Esquembri Hinojo
Translation: Mohamed Abdelmoumen
Submission and review: Dr. Mustapha El Merroun

Published by e-Kutub Ltd
Distribution: TheBookExhibition.com & Associates

ISBN:9781780584751
First Edition
London, July. 2019
** * **

الطبعة الأولى، لندن، تموز - يوليو 2019
الجزر الجعفرية: من 1848 إلى بداية القرن الواحد والعشرين
المؤلف: كارلوس إيسكمبري إينوخو
ترجمة: محمد عبد المومن
تقديم ومراجعة: د. مصطفى المرون
الناشر: e-Kutub Ltd، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم: 7513024

التوزيع: TheBookExhibition.com

يمكنك الكتابة إلى المؤلف على العنوان التالي:
dream-way@hotmail.com

الفهرس

كلمة شكر

أود بداية أن أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور مصطفى المرون، لما بذله من وقت وجهد كبيرين في مراجعة هذا العمل وفي التقديم له، والذين لولاهما لما كان لهذه الترجمة أن تكتمل.

كما أشكر الدكتور أنطونيو بر لو نييطو، رئيس تحرير دورية ألدابا Aldaba على تشجيعه لي على الاستمرار في ترجمة هذا العمل، وعلى ما قام به من جهد بهدف ربط الاتصال بالمؤلف.

والشكر موصول للصديق محمد الرحماني، على مساعدته القيمة، أثناء قيامي بترجمة هذا العمل،

المؤلف:

كارلوس إيسكمبري إينوخو، باحث إسباني، وعضو في معهد الدراسات المليلية، ألف ونشر العديد من الدراسات حول تاريخ مدينة مليلية.

المترجم:

محمد عبد المومن، باحث مغربي، مهتم بتاريخ شمال المغرب، نشر عددا من الترجمات والدراسات في دوريات عربية ومغربية.

المراجع:

الدكتور مصطفى المرون، باحث مغربي مهتم بتاريخ العلاقات المغربية الإسبانية، نشر العديد من الأبحاث والدراسات باللغتين العربية والإسبانية، أشهرها التاريخ السري للحرب الكيماوية ضد منطقة الريف واجبالة.

تقديم

نادرة هي الدراسات التي اهتمت بالاحتلال الإسباني للجزر المغربية، أو الجيوب السليبة كما يطلق عليها في المراجع المغربية، نظرا لحجمها الصغير، ودورها المحايد في الأحداث الكبرى التي أثرت عبر التاريخ في مجرى العلاقات المغربية الإسبانية، بالإضافة إلى مهامها الثانوية كمعتقلات لعتاة المجرمين الإسبان، والسياسيين المناوئين لنظام الحكم داخل إسبانيا، سواء بالجزيرة الإيبيرية، أو في أمريكا اللاتينية، على الرغم من أهميتها الاستراتيجية كحاميات للجنود، أو مراكز مراقبة للملاحة البحرية عبر المتوسط. هذه الجزر يمكن حصرها في أربعة رئيسية هي: كبدانة (الجعفرية) Chafarinas، بادس Peñón de Vélez de la Gómera، النكور Peñón de Alhucemas والبرهان Alborán.

في هذا السياق، من بين الحكايات المتعلقة بالتسمية الإسبانية للجزر الجعفرية (Chafarinas)، هي كونها كانت مرتعا للقراصنة، يلجئون إليها كلما كانت الظروف الجوية سيئة، أو لقصد إنزال الغنائم، أو بهدف التموين. لهذا نعتت باسم "**جزر الشفارين**" أو "**إشفارن**" باللغة الأمازيغية، أي "اللصوص"، وهي الصفة التي كانت تطلق على القراصنة، ومنها اتخذت النعت الإسباني Chafarinas.

حسب المؤرخ محمد ابن عزوز حكيم[1]، كانت فكرة احتلال الجزر الجعفرية من طرف إسبانيا تعود إلى نفس السنة التي احتلت فيها مدينة مليلية سنة 1497م، لكن التطبيق الفعلي للفكرة سينطلق منذ وصول الجيش الفرنسي إلى الحدود المغربية الشرقية سنة 1847م، حيث ستقرر الحكومة الإسبانية في مجلسها المنعقد يوم 26 يونيو 1847م احتلال الجزر، وإقامة حامية عسكرية لضمان الملاحة الحرة بشاطئ إفريقيا.

غادر الأسطول الإسباني ميناء مالقة يوم 4 يناير 1848م برئاسة الجنرال سيرانو، الذي حل بمليلية في نفس اليوم، ليقوم باحتلال الجزر يوم 6 يناير 1848م، إذ بمجرد ما نزل الجنرال سيرانو بأرض الجزيرة، حتى صاح في جنوده قائلا: "**لقد دخلت جزر كبدانة تحت طاعة جلالة الملكة إيسابيلا الثانية**"، وأطلق على كل جزيرة من الجزر الثلاث اسما إسبانيا هو: جزيرة إيسابيلا الثانية Isabela II، جزيرة الملك Rey وجزيرة مجلس الشيوخ Congreso.

في هذا الصدد، تأتي ترجمة هذا المؤلف، بهدف إماطة اللثام عن جزء مهم من التراب المغربي الذي احتلته إسبانيا، حيث تتبع المؤلف، بشكل مفصل ودقيق، الأحداث التي رافقت تطور هذه الجزر منذ احتلالها سنة 1848م إلى غاية

[1]- محمد ابن عزوز حكيم: "**جزر كبدانة: متى وكيف سقطت بيد إسبانيا سنة 1264 هـ / 1848 م**". مجلة الجيوب السليبة – العدد الأول – ديسمبر 1988 – ص.ص 49 / 55.

الفترة الراهنة، التي شهدت فيها الجزر تراجعا على مستوى الأهمية الإستراتيجية، مما جعلها عرضة للتهميش، خصوصا على مستوى التموين بالمياه والطاقة، مما دفعها إلى الاعتماد على الطاقات البديلة منذ سنة 2009م، دون أن يغفل المؤلف موقع الجزر الجعفرية ضمن الأحداث الكبرى التي طبعت العلاقات المغربية الإسبانية، من حروب ونزاعات، كحرب تطوان سنة 1860م، وحرب مليلية منذ سنة 1893م، والتدخل العسكري الإسباني في المغرب ما بين سنوات 1908م و1912م؛ ثم سنوات 1913م إلى غاية 1927م والحرب الأهلية الإسبانية (1936م – 1939م). كذلك، تطرق المؤلف في جانب آخر إلى التجاذبات والتوافقات المغربية الاسبانية التي أعقبت استقلال المغرب، خصوصا فيما يتعلق بقضايا استرجاع الأقاليم المغربية التي كانت تحت السيطرة الإسبانية، والتي انطلقت بتحرير طرفاية سنة 1958م، ثم سيدي إيفني سنة 1969م، لتختتم بتحرير باقي الأقاليم الصحراوية سنة 1975، والتي أثرت على الوضع الإداري للجزر الجعفرية، ودفعت بإسبانيا إلى إحداث نوع من التقارب مع المغرب، جسد في اتفاقية الصيد البحري، وترسيم الحدود المائية سنة 1969م، والذي أعقبه تقارب كبير فيما يتعلق بالملفات العالقة، كالهجرة السرية، التهريب، الإرهاب العابر للحدود، ملف الصحراء وقضية سبتة ومليلية.

هي قضايا فصل فيها الكتاب باستفاضة، والتي سبرت أغوار العلاقات المغربية الإسبانية، وتأثيراتها على الوضع

الـداخلي للجـزر تحـت السـيطرة الإسـبانية، بشـكل يجعـل القـارئ يفهـم خبايـا هـذه العلاقـات في تسلسـلها الزمني، ومـن خـلال الوضع الداخلي للجزر السليبة.

الدكتور مصطفى المرون

باحث مساعد سابق بمركز الدراسات الإسبانية المعاصرة – جامعة لندن

مقدمة المترجم

أصل هذا العمل مقالان صدرا ضمن العددين 37 و38 من دورية ألدابا Aldaba، وهما من تأليف الباحث الإسباني، كارلوس إيسكمبري إينوخو. وكان الهدف من ترجمتهما نشرهما منفصلين على صفحات إحدى الدوريات التاريخية، ثم بدا لي أن أضمهما معا، وأنشرهما في كتاب جامع.

ثم إن ترجمة ونشر هذا العمل، نابع من اهتمام شخصي بتاريخ العلاقات المغربية الإسبانية، وخصوصا بتاريخ العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الريف الشرقي، وإسبانيا عامة، ومدينة مليلية المحتلة على وجه الخصوص، وهي مواضيع أظن أنها في حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، خصوصا أن الريف الشرقي عرف خلال القرن التاسع عشر ازدهارا لنشاطي التهريب والقرصنة، وخلال القرن العشرين طفرة اقتصادية، مع الشروع في استغلال مناجم الحديد المكتشفة بأراضي قبيلة بني بويفرور، مما كان له أكبر الأثر على شمال المغرب خلال فترة الحماية.

وقد قمت في هذا العمل بتجميع المقالين في نص واحد، وبتعريبها بأكبر قدر من الأمانة العلمية،بهدف الحفاظ على المعاني التي أرادها المؤلف، رغم أنني أختلف معه في مسألة السيادة على الجزر الجعفرية، حيث يعتبرها أرضا إسبانية وأعتبرها أرضا مغربية محتلة.

كما قمت بإضافة العديد من الهوامش التي سيجدها القارئ باللغة العربية،أما بالنسبة لأسماء الشخصيات الإسبانية والكوبية

فقد كتبتها مثلما تنطق باللغة الإسبانية، كما أضفت الأسماء بالحروف اللاتينية في مواضع كثيرة ليتمكن القارئ من قراءتها بشكل سليم. وبالنسبة للأعلام الجغرافية الإسبانية فقد أوردت أسمائها العربية الشائعة كغرناطة وقادس وألميرية وبالنسبة لمن لا تعرف لها أسماء عربية فقد أوردتها مثلما تنطق.

وذيلت النص بمجموعة من الملاحق التوضيحية، وخصوصا بخرائط للجزر الجعفرية والمناطق القريبة، وببعض الصور التي تؤرخ لبعض الأحداث الهامة التي مرت بتلك الجزر.

وقد جعلت من المقال الأول، وعنوانه الأصلي: " الجزر الجعفرية من 1848 إلى أواخر القرن 19 " فصلا أولا. ومن المقال الثاني، وعنوانه: الجزر الجعفرية خلال القرن العشرين" فصلا ثانيا. وارتأيت أن يكون عنوان هذا العمل هو: **"الجزر الجعفرية من 1848 إلى أوائل القرن الواحد والعشرين".**

في الختام أشير إلى أني واجهت خلال العمل على هذه الترجمة عددا من الصعوبات، والتي تخطيتها بفضل الله، ثم بمساعدة الدكتور مصطفى المرون، والصديق محمد الرحماني فلهم مني جزيل الشكر.

وألتمس من القارئ العذر، فيما قد يصادفه من خطأ أو تقصير أو ما قد يبدو غموضا في بعض الكلمات والجمل.

ولمن أراد الاطلاع على النص الاسباني فيمكنه العودة إلى:

Chafarinas: El ayer y el presente de unas islas olvidadas, Carlos Esquembri Hinojo, Las Islas Chafarinas, Desde 1848 Hasta Finales del Siglo XIX ,

Aldaba: Revista del Centro Asociado a la UNED de Melilla, ISSN 0213-7925, Nº. 37, 2013 , páginas. 191-220.

وكذلك:

Chafarinas: El ayer y el presente de unas islas olvidadas II , Carlos Esquembri Hinojo, Islas Chafarinas Durante el Siglo XX,

Aldaba: revista del Centro Asociado a la UNED de Melilla, ISSN 0213-7925, Nº. 38, 2013, páginas. 9-42.

الفصل الأول: الجزر الجعفرية من 1848 إلى أواخر القرن التاسع عشر

أولا- أهم الأحداث التي حدثت منذ احتلال الجزر إلى حرب 1859:

- السنوات الأولى، الوقائع الأولى:

في الوقت الذي غابت في الأفق السفن التي نقلت الجنرال سيرانو[2] والوفد المرافق له، والفرق العسكرية التي قامت بعملية غزو الجزر، [3] بقيت هناك على جزيرة إيسابيلا سيغوندا، [4] جماعة من العمال والمساجين الذين كلفوا بالأعمال الشاقة، من بينها بناء الثكنات والمخازن والتحصينات لتأمين الممتلكات الإسبانية الجديدة.

ومن الناحية الإدارية، أصبح الأرخبيل تابعا إلى مليلية، [5] وإلى القيادة العسكرية العامة لأفريقيا المستحدثة سنة 1847، التي كانت مدينة سبتة مركزا لها، وتم تعيين ضابط حمل لقب حاكم لتسيير شؤون الأرخبيل، و كان أول من تقلد

---

[2] - سياسي وعسكري إسباني قاد حملة عسكرية سنة 1848 لاحتلال الجزر الجعفرية. شغل مناصب رفيعة في الدولة الاسبانية.

3- أرخبيل يوجد قبالة السواحل الشرقية للمغرب، يتكون من ثلاث جزر هي: جزيرة الملك، جزيرة إيسابيلا سيغوندا وجزيرة كونغريسو.

[4] - إحدى الجزر الجعفرية الثلاث، مساحتها حوالي 15 هكتار، توجد بها قواعد عسكرية إسبانية.

[5]- مدينة بالشمال الشرقي للمغرب احتلها الاسبان سنة 1497 مساحتها 12.3 كيلومترا مربعا.

هذا المنصب هو العقيد بيثينطي إيلاردويا Vicente Ilardulla. لكن، في فبراير 1851 تم إلغاء القيادة العامة لإفريقيا، وأصبحت مليلية والمستعمرات الإسبانية التابعة لها تشكل جزءا من القيادة العسكرية العامة لغرناطة، وصنفت مليلية منطقة عسكرية من الدرجة الثانية، أما الجزر الجعفرية، صخرة نكور [6] وصخرة بادس، [7] فقد صنفت في الدرجة الثالثة. [8]

وبالنظر إلى ما يميز فصل الشتاء من قساوة الطقس، وخصوصا خلال شهر فبراير، فقد كان الشغل الشاغل للعقيد إيلاردويا هو توفير ملجإ آمن لرجاله، ليحتموا من الطقس العاصف. وبالفعل، فقد تمكنوا في الأيام الأولى من شهر فبراير من بناء عدد من الأكواخ لإيوائهم.[9]

في مقابل هذا التقدم المتواضع والضروري لتحسين ظروف الحامية،تعالت الأصوات مطالبة بالقيام بعمل أكثر قوة، أي القيام بهجوم انطلاقا من الجزر الجعفرية. في هذا السياق، نشرت يومية إل إسبانيول *El Español* المدريدية، بتاريخ 16 مارس 1848، رسالة وصلتها من مليلية، تتضمن دعوة لإقامة

[6]- جزيرة صغيرة بالمياه المغربية تحتلها إسبانيا منذ سنة 1559.

[7] - جزيرة صغيرة متصلة حاليا بالبر المغربي تحتلها إسبانيا منذ سنة 1564.

[8] - Moga Romero, Vicente (1988). En: Aldaba nº 9; pág. 216.

[9] - Diario constitucional de Palma 07/02/1848.

حصـــن مـــدفعي فـي موقـــع رأس المــاء، [10] لــتأمين إمــدادات المــاء والحطب للمتواجدين بالجزر.

ومــن جهــة أخـرى، ارتفعــت أصــوات أخـرى منتقــدة العمليــة، حيـث نشـرت بعـض الجرائـد مقـالات تعـارض فيهـا إهـدار الأمـوال والرجـال في عمليـة محـدودة وبسـيطة، مثـل احـتلال تلـك الجـزر، وظهــرت شــائعات تؤكــد أن تلــك العمليــة ليســت إلا جــزءا مــن خطـة لإبعـاد الجنـرال سـيرانو Serrano عـن الـبلاط تمهيـدا لإرساله إلى الفليبين.[11]

فـرغم الوضـع السياسـي المتـأزم في إسـبانيا، والـذي كـان مـرده التـأثر بالموجـة الثوريـة التي اجتاحـت أوربـا، فـإن ذلـك لـم يمنـع الحكومة من الدخول في مغامرات خارجية طموحة.

ففـي يـوم 26 مـارس مـن نفـس السـنة، انطلقـت حركـة ثوريـة مـن مدريـد، تـم على إثرهـا نفـي العديـد مـن معتقلي هـذه الحركـة إلـى الجــزر الجعفريــة، لتصـبح هــذه الجــزر منــذ تلــك اللحظــة، منفــى للســجناء والمعتقلــين لأســباب سياســية. وقــد اســتنكرت الصـــحافة الأوضـــاع المزريـــة لأولئـــك الســـجناء والمنفيـــين السياســـيين، رغـــم أن التقـــارير كانـــت تأكـــد بـــأن الســـلطة التنفيذيــة أعطــت تعليمــات لتحســين ظــروفهم المعيشــية، [12] إلا أنــه لا يبــدو بــأن ذلــك ســاهم بشــكل ملمــوس في التخفيــف مــن المعانــاة التــي يعيشـــوها فــي المنفــى، بــل إن الحكومــة ألغــت

[10]- رأس بحري بالساحل المغربي قبالة الجزر الجعفرية، يدخل ضمن أراضي قبيلة كبدانة.

[11] - El Clamor Público 09/03/1848.

[12] - El Balear 08/08/1848.

المساعدة التي كانت تقدم لهؤلاء المنفيين، إلى درجة أن من كانوا عاجزين على أداء تكاليف إقامتهم في الجزر، اضطروا إلى استهلاك حصص الخبز الأسود ذي النوعية الرديئة والمليء بالقذارة.[13]

في هذا الصدد، تم في أبريل من سنة 1848 عزل العقيد إيلاردويا، وتعويضه في منصب الحاكم، بعقيد من جيش المشاة، هو فرانثيسكو خابيير بيغا Francisco Javier Vega، الذي رغم تعيينه بصفة مؤقتة في هذا المنصب، إلا أنه ظل فيه لمدة ست سنوات.[14]

في السياق ذاته، أثمرت جهود التشييد المبذولة على جزيرة إيسابيلا سيغوندا سنة 1849 عن نتائج ملموسة، رغم أنها كانت تعتمد بشكل كلي على سفينة شراعية صغيرة تابعة للبحرية الإسبانية، استعملت لنقل المواد من جزيرة الملك،[15] حيث تم إنشاء العديد من الحصون الدفاعية، والمباني لإيواء الجنود والمنفيين، وقد شجعت احتياجات ومتطلبات هؤلاء على ظهور نشاط تجاري صغير، حيث أصبحت الجزر تستقبل بعض التجار القادمين على متن مراكب صغيرة.

في موازاة ذلك، أصبحت كل الإنشاءات مهددة بالانهيار بسبب العاصفة الرهيبة التي ضربت الجزر من الشمال

---

[13] - El Genio de la Libertad 02/04/1849

[14] - Estado Militar de España. 1849 - 1850.

[15] - إحدى الجزر الجعفرية الثلاث، مساحتها 12 هكتار لا يوجد عليها أي بناء، وتعتبر حاليا محمية طبيعية.

الشـرقي في شـهر مـارس مـن سـنة 1849، حيـث تصـف رسـالة أرسـلت مـن جزيـرة إيسـابيلا سـيغوندا، السـاعات العصـيبة التي ضـربت أثنائهـا العاصـفة، والتي صـاحبتها أمـواج هائلـة غمـرت جزيـرة الملـك، ووصـلت حتـى حصـن لا كونكيسـطا La Conquista المـدفعي. فقـد اقتلعـت الريـاح أبـواب ونوافـذ المبـاني المشـيدة في المنـاطق المرتفعـة، أمـا المـد العـالي، فقـد تـدفقت مياهـه مـن ضـفة إلى أخـرى بجزيـرة الملك،مـدمرة المنشـآت التي كـان العمـل فيهـا متواصـلا منـذ عشـرة أشـهر، وسـحبت مركبـا كـان هنـاك وقـذفت بـه نحـو الشـاطئ، كمـا أغرقـت في البحـر ثلاثـة مـدافع برونزيـة مـن عيـار 24 ملـم، كانـت لا تـزال مفككـة بالقرب من المكان الذي كان من المقرر أن تنصب فيه.

كمـا أن المركـب الشـراعي خاسـون Jasón ذي الأربـع والعشـرين مـدفعا، والـذي كـان يسـتعمل للـربط بـين الجـزر فقـد مرسـاته، وصـار مهـددا بـالانجراف نحـو الشـاطئ، وقـد كـان مـن الممكـن المخـاطرة بإنقـاذه، لكـن شـكلت تلـك العمليـة مجازفـة بـأرواح البحـارة والجنـود، الـذين ظلـوا علـى متنـه طيلـة الأربعـين سـاعة التـي اسـتمرت فيهـا العاصـفة، لتقـام بعـد هـدوئها قداديس الشكر احتفاء بنجاة المركب، وبقائه سالما. [16]

وقـد كشـفت حصـيلة العاصـفة عـن مـدى هشاشـة المنشـآت التـي تمـت إقامتهـا فـي جزيـرة إيسـابيلا سـيغوندا، وتزايـدت الانتقـادات الموجهـة لعمليـة الاحـتلال، ولتكـاليف الصـيانة،

[16] - La Esperanza 12/04/1849.

لدرجة أنه أثناء مناقشة مجلس النواب لميزانية سنة 1851، كان هناك اقتراح بالتخلي عن تحصين الجزر بسبب التكلفة المرتفعة. في مقابل هذه الاقتراحات، كانت هناك مواقف قوية للمتحمسين لعملية الاحتلال، حيث طالبوا بالبقاء في الجزر، ولو بحامية أصغر، وتحصينات أصغر، وكانت المبررات هي تأمين ميناء بديل لمليلية، والموقع الجغرافي للأرخبيل الذي سيعزز موقع إسبانيا في مواجهة الأطماع الفرنسية في وادي ملوية، وفي منطقة الحدود المغربية الجزائرية. [17]

- الجزر الجعفرية في سياق الصراع الحدودي بين المغرب وفرنسا من خلال التقارير الصحافية:

أثارت التحركات الفرنسية نحو وادي ملوية خلال أواسط القرن التاسع عشر قلقا عميقا لدى السلطات المغربية، التي استشعرت التهديد القادم من الحدود الشرقية، حيث أرسلت فرقا عسكرية لصد هذه التحركات، وهذا ما أنتج حالة من التوتر.

وحينها برزت الأهمية الإستراتيجية للجزر الجعفرية، في توفير قاعدة إستراتيجية لإسبانيا في المنطقة، تمكنها من متابعة الأحداث الجارية عن كثب، وبعثِ رسالة، ولو بصفة

---

[17] - El Ancona 08/01/1850.

رمزيــة - مــن خــلال وجــود حاميــة صــغيرة - بإصــرارها وحرصــها على حماية مصالحها في هذا الجزء من المغرب.

فبالإضــافة إلــى المعلومــات الرســمية التــي كانــت ترســلها السـلطات العسـكرية مـن الجـزر الجعفريـة إلى الحكومـة، ظهـرت تقــارير صــحفية لأشــخاص مجهــولي الهويــة، هــم فــي الأصــل مراســلون لعــدد مــن الجرائــد الإســبانية، قــاموا بإرســال تقــارير عــن الأحــداث والمواجهــات التي جــرت في المنــاطق القريبــة مــن الأرخبيل.

هكــذا، أوردت جريــدة لا إيبيريــا La Iberia المدريديــة في عــددها الصــادر يــوم 6 دجنبر مــن ســنة 1856، بنــاء على تقــارير قادمــة مــن الجــزر، معلومــات عــن مواجهــات بــين قــوات فرنســية عبرت مــن الضــفة اليســرى لــواد الملويــة، وحركــة [18] مكونــة مــن قبائل المنطقة.

كمــا قامــت جريــدة لا إســبانيا La España في عــددها الصــادر يــوم الثــامن عشــر يونيــو ســنة 1857، بنشــر رســالة أرســلها أحــد مــن كــانوا آنــذاك في الجــزر - والــذي عــرض القيــام بــدور المراســل - تضــمنت أخبــارا عــن احتمــال نشــوب حــرب بــين المغــرب وفرنســا، وعــن وصــول مركــب بريطــاني رســا بــالقرب مــن مصــب واد ملويــة، ونزل منه قنصل بريطانيا في طنجة، وممثل عن السلطان.

كــان الهــدف مــن تلــك الزيــارات جمــع معلومــات ميدانيــة عــن التحركـات العسـكرية الفرنسـية، خصوصــا أن بريطانيــا لــم تكــن

---

[18] - حملة عسكرية حسب الاصطلاح المغربي القديم.

لترضى عن أي عمل عسكري فرنسي ضد المغرب، أو عن احتلال إسبانيا لمدينة طنجة.[19]

ويمكننا مطالعة ما نشرته صحيفة لا إيبيريا بشكل يومي حول ما بدا صداما عسكريا وشيكا بين الفرنسيين والمغاربة، حيث أشار مراسلها بأنه راقب بواسطة المنظار تحركات القوات الفرنسية والمغربية بالقرب من مصب واد ملوية. كما تحدث أيضا عن زيارة مركب حربي فرنسي للجزر، حيث قدم الفرنسيون طلبا رسميا للسماح لهم بالرسو في حالات الطقس السيئ، أو في حالة وقوع حادث، مع إمكانية إنزال القوات في حالة ما إذا أجبرتهم الظروف على البقاء مدة طويلة، وحسب مراسل الصحيفة، فقد سمح لهم باستخدام جزيرة الملك.

في السياق ذاته، رست بالميناء في يوم 23 من نفس شهر يونيو 1857 ثلاث سفن بخارية فرنسية، بسبب حالة الطقس، وقد كانت هذه السفن في مهمة نقل فرق عسكرية من جنوة ووهران إلى الغزوات،[20] كما ذكر الفرنسيون بأن تسعة سفن تحمل فرقا أخرى تنتظر الأوامر بالإبحار في ميناء بوهران.[21] كذلك، رسا بالميناء يوم 24 من نفس الشهر، مركب خفر السواحل الإسباني إيسبارطاكو Espartaco ، وعلى متنه البريد ووثائق رسمية، بالإضافة إلى معلومات من إسبانيا

[19] - Historia de España XXXIV، págs. 866 y ss.

[20] - مدينة جزائرية تابعة لولاية تلمسان وتوجد بالقرب من الحدود المغربية الجزائرية.

[21] - Jerónimo Becker, pág. 225. Expedición francesa contra los Beni Snassen. Véase también La Iberia del 05-11-1859

تؤكد قرب إعلانها الحرب ضد المغرب، مما أثار جوا من الفرح داخل الحامية العسكرية والمقيمين بالجزيرة.

أثارت هذه الأحداث التي تندرج في سياق الضغط العسكري الإسباني على المغرب شكوك الحكومة البريطانية، وجعلتها تأخذها على محمل الجد، خصوصا عندما انتشرت شائعات مفادها أن هناك مشروعا فرنسيا إسبانيا يقوم على تنازل إسبانيا لفرنسا عن الجزر الجعفرية في مقابل دعم فرنسا احتلال إسبانيا لمدينتي تطوان وطنجة، وهذا ما دفع بالسفير الإسباني في لندن إلى نفي هذه الشائعات. [22]

- الجزر الجعفرية وحرب 1859

اندلعت حرب تطوان، التي جرت أطوارها أواخر سنة 1859، [23] نتيجة لسلسلة طويلة من الخلافات الديبلوماسية، والصدامات المسلحة، والاستفزازات التي تورط فيها الطرفان المغربي والإسباني، وكلها بسبب ممتلكات إسبانيا في شمال إفريقيا، ومن بينها طبعا الجزر الجعفرية، التي أثار احتلالها من طرف إسبانيا احتجاجات السلطان، الذي كان يعتبرها جزءا من مملكته.[24]

---

[22] - La Discusión 21/10/1859. Sobre implicaciones extranjeras en el conflicto véase Historia de España XXIV pág. 866 y ss.، y La Guerra de África،pág. 28.

[23]- حرب تطوان 1859-1860، حرب دارت رحاها بشمال المغرب، وأفضت إلى انتصار إسبانيا.

[24] - Jerónimo Becker, pág. 215.

كمـا كانـت القرصـنة [25]، التـي مارسـها المغاربـة ضـد السـفن والمراكـب الإسـبانية المبحـرة عبـر السـواحل المغربيـة، مـن القضـايا التي زادت مـن حـدة التـوتر بـين الـدولتين. في سـياق هـذا التـوتر، تعرضـت سـفينة شـراعية انطلقـت مـن مليليـة لهجـوم في ينـاير مـن سـنة 1852 مـن طـرف القلعيـين [26] كـانوا يبحـرون على مـتن قـاربين [27] انطلقـا مـن شـاطئ لا سـالينا La Salina (يوجـد في الموقـع الحـالي لمينـاء بني أنصـار)[28] ، وقـد وقـع الهجـوم على بعـد سـتة أميـال فقـط مـن المدينـة. ونظـرا لأن هـذه الهجـوم تمـت مشـاهدته انطلاقـا مـن الشـاطئ، فقـد تـم فـي الحـال إرسـال مركـب مسـلح ومجهـز بمحـرك بخـاري ليطلـق النـار ضـد المهـاجمين. [29] كـذلك، في شـتنبر مـن السـنة الموالية، تعرضـت فلوكـة [30] كانـت تبحـر فـي اتجـاه مليليـة قادمـة مـن الجـزر الجعفريـة، لهجـوم مـن طـرف قراصـنة أبحـروا على مـتن ثمانيـة مراكـب مـن نفـس الشـاطئ، (لاسـالينا)، لكـن تـم إحبـاط الهجـوم بسبب وصول النجدة من مليلية. [31]

---

[25] - خلال أواسط القرن 19، مارس بعض أهالي منطقة إعزانن بقبيلة قلعية بمهاجمة السفن العابرة لسواحل قبيلتهم وهذا ما اعتبرته إسبانيا قرصنة..

[26] - قلعية: اتحادية قبلية موطنها الريف الشرقي تحيط أراضيها بمدينة مليلية.

[27] - اعتمد هؤلاء القراصنة على قوارب كبيرة من نوع الشباك المعروف في شمال المغرب.

[28] - مدينة مغربية حدودية تابعة لإقليم الناظور، محاذية لمدينة مليلية المحتلة.

[29] - La Esperanza 12/02/1852.

[30] - مركب شراعي صغير.

[31] - El Ancona 08/10/1853.

وقد ساهم التوتر المتصاعد مع المغرب في تركيز الحكومة الإسبانية أنظارها على الممتلكات الإسبانية في شمال إفريقيا، حيث أنشأت سنة 1855 لجنة ترأسها حاكم مليلية اللواء بوثيطا Buceta، مهمتها إنجاز دراسات عن الساحل الممتد من صخرة بادس إلى مصب واد ملوية، وتقديم تقارير حول حالة المنطقة ووضعية الممتلكات الإسبانية، مع الإشارة إلى ما يجب القيام به لتقوية وضعها في حال قيام حرب ضد المغرب. [32]

وفيما يتعلق بأرخبيل الجعفرية، فقد خلصت اللجنة إلى ضرورة تحسين حالة مينائها الطبيعي إلى إقامة رصيف يربط بين جزيرة إيسابيلا سيغوندا وجزيرة الملك، وكذا إلى احتلال نقطة على الشاطئ المقابل لتقديم الدعم للجزر، بالإضافة إلى إعلانها ميناء للتجارة الحرة، وبالتالي ربطها بباقي الأرضي الإسبانية بواسطة سفن بخارية تقوم برحلات منتظمة. لكن بعد سنتين من إنشاء اللجنة لا يبدو أن الأمور كانت قد تحسنت كثيرا. فوفقا لتقرير حول الأرخبيل نشرته جريدة لا إسبانيا في عددها الصادر بتاريخ 30 يناير 1857، يمكن الاطلاع عن حالة الجزر وعلاقتها بمحيطها، إذ ففي ما يتعلق بالحالة، فقد أشار كاتب التقرير إلى أن الأكواخ الخشبية التي شيدت سنة 1848 كملاجئ مؤقتة لا تزال قائمة، لكن هذه الأكواخ التي كان يسكنها أفراد الحامية والمنفيين لم تعد بحالة

[32] - La guerra de África, pág. 26 y Datos para la Historia de Melillla, de Gabriel de Morales Mendicutía, 1909،pág. 203.

جيــدة.[33] . وكانــت التشــكيلات العســكرية المكونــة للحاميــة، والمنتميـة إلى سـلاح المشـاة، سـلاح المدفعيـة، وكوكبـة مـن القـوات البحريـة، تتـوفر على ثكنـات خاصـة بهـا، لكنهـا كانـت لا تـزال قيـد الإنشـاء، وكـذلك كـان الشـأن بالنسـبة للمستشـفى. وإلى جانـب هـذه المبـاني الرسـمية، كانـت هنـاك منـازل وأمـاكن أنشـئت مـن طرف بعض الخواص. [34]

في هـذا الصـدد، يـذكر كاتـب التقريـر أن سـلطات الجزيـرة قامـت بمحـاولات عديـدة لكسـب ثقـة أعيـان قبيلـة كبدانـة، [35] كـان الهـدف منهـا بنـاء الثقـة وتطـوير النشـاط التجـاري، وكـذا ربـط علاقـات مـع المحـيط المجـاور، لكـن هـذه المحـاولات التي قـام بهـا بشـكل أساسـي المتـرجم خوسـي طوريغروسـا José Torregrosa لـم تحقـق نتـائج تـذكر، في حـين، بـاءت محـاولات الوصـول إلى أراضـي قبيلـة كبدانـة بالفشـل، بعـد اعتراضـها مـن طـرف حـراس القبائـل المتمركـزين في رأس المـاء، الـذين لـم يكونـوا يســمحون للمبعــوثين بالتوغــل فـي الــبلاد لتوســيع العلاقــات التجاريـة، التـي ظلـت مقتصـرة علـى بضـع رؤوس مـن الماشـية، وخصوصـا الأبقـار والمـاعز، التـي كـان بعـض سـكان المنـاطق المجـاورة يتمكنـون مـن إدخالهـا خفيـة إلى الجـزر، خـارقين بـذلك الحظـر الـذي كان مفروضـا على ممارسـة التجـارة مع سـكان هـذه الجزر.

---

[33] - El Clamor Público 18/02/1857.

[34] - Islas Chafarinas, pág. 28

[35] - إحدى قبائل الريف الشرقي، توجد أراضيها قبالة الجزر الجعفرية.

فــي الســـياق ذاتـــه، اســـتأنفت طـــوال ســـنة 1857 أوراش التحصـــين والتأهيـــل داخـــل الجـــزر، ولهـــذا الســـبب زاد عـــدد السـجناء الـذي اشـتغلوا في مشـاريع البناء،حيـث تجـاوز عـددهم آنـذاك مائـة سـجين. هـذا التزايـد في أعـداد السـجناء الـذين يعيشـون ظروفـا قاسـية، ويجبـرون علـى الأشـغال الشـاقة، دفـع بعضـهم إلـى التخطـيط للـتخلص مـن الحاميـة العسـكرية ومـن ثـم الفـرار، حيـث كانـت خطـتهم تقـوم علـى جلـب مخـدر مـن إسـبانيا وخلطـه مـع طعـام الجنـود، لتصـبح الجـزر بعـد ذلـك في قبضـــة المتمـــردين، لكـــن المـــؤامرة تـــم اكتشـــافها مـــن طـــرف سـلطات الجزيـرة، وتـم الـتخلص مـن المتـآمرين السـتة المخططـين لها عبر إرسالهم إلى مليلية.[36]

مـن جانـب آخـر، بلـغ التـوتر بـين المغـرب وإسـبانيا ذروتـه في شـــتنبر 1858، عنـــد وقـــوع المســـاعد Ayudante فرناثيســـكو ألباريـث Francisco Álvarez (مـن حاميـة مليليـة) مـع سـتة مـن المنفيـين، في كمـين دبـره أفـراد مـن قبيلـة قلعيـة. وردا علـى ذلـك، أعطـي حـاكم مليليـة أمـرا - بعـد الحـادث ببضـعة أيـام - بـاعتراض قـــارب كـــان يبحـــر فـــي ميـــاه الجـــزر الجعفريـــة، واعتقـــال ركابـــه الثمانيـــة والعشـــرين مـــع الطـــاقم، اتخـــذوا كرهـــائن لضـــمان سلامة الأسرى الإسبان.

وقبيـل انـدلاع الحـرب بـين المغـرب وإسـبانيا في ينـاير 1859، اعطيـت دفعـة أخـرى لأشـغال البنـاء والتحصـين، عبـر إرسـال

---

[36] - La Iberia 16/04/1858 y 20/04/1858 La España 25/03/1858.

مجموعــة مــن الســجناء المــدانين بالأشــغال الشــاقة، تــم انتقــاؤهم مــن مختلــف الســجون، للقيــام بأعمــال لهــا علاقــة بالبنــاء. في حــين، أن الحــرب التــي شــنتها إســبانيا علــى المغــرب، جــرت كــل وقائعهــا فــي المنطقــة الفاصــلة بــين ســبتة وتطــوان، دون أن تســجل بــالجزر الجعفريــة عمليــات عســكرية ذات أهميــة، ودون أن يمكــن انتصــار إســبانيا في هــذه الحــرب الجــزر الجعفريــة مــن امتيــازات تــذكر، كمــا لــم تــتم الإشــارة إليهــا في معاهــدة الســلم التي أنهت حرب 1860. [37] [38]

ثانيا: المحاولات الأولى لتثمين الجزر

- إنشاء خدمة مواصلات بحرية منتظمة

فــي أواخــر عقــد الخمســينات، وبدايــة عقــد الســتينات مــن القــرن التاســع عشــر، قامــت الحكومــة بمجموعــة مــن الإجــراءات لإنعــاش الاقتصــاد وتحســين شــروط الحيــاة فــي الممتلكــات الاســبانية بشــمال إفريقيــا، ومــن بــين تلــك التــدابير، تحســين خدمــة النقــل البحــري، وذلــك اســتنادا إلى توصــيات اللجنــة التي تــم تشــكيلها ســنة 1855، ولــذلك اتخــذت الإجــراءات الضــرورية لإنشــاء خــط بحــري قــار يعتمــد علــى الســفن البخاريــة التي كانــت تــربط مالقــة بالممتلكــات الشــمال إفريقيــة. [39] وإلــى حــدود ســنة

---

[37] - La España 23/01/1859.

[38] - معاهدة واد راس الموقعة في 26 أبريل 1860، هي التي أنهت حرب تطوان وحصلت بموجبها إسبانيا على العديد من المكاسب.

[39] - المناطق الخاضعة للسيادة الإسبانية بالساحل المغربي هي: سبتة، مليلية،صخرة نكور، صخرة بادس والجزر الجعفرية.

1858، لـم يكـن قـد تـم تفعيـل الخدمـة، حيـث فشـلت المناقصـة الأولـى، وفـي شــهر مــارس 1859 مــنح الامتيــاز أخيـرا إلـى شــركة كاسـا هرمـانوس ريطورطيـو Casa Hemranos Retortillo،
الــذين هــم فـي الأصــل رجــال أعمــال قادســيين[40] كانــت لــديهم اسـتثمارات في المجـال البحـري، كمـا أنهـم في نفـس الوقـت، رجـال مـال وسياسـة كانوا قـد حصـلوا قبـل ذلـك على امتيـاز تزويـد تلـك المسـتعمرات الاسـبانية بـالمواد التموينيـة. في هـذا الصـدد، كـان علـى السـفن، بالإضــافة إلـى نقــل البريــد والمــؤن والمســافرين، تزويـد الجـزر الميـاه التي تحتاجهـا بشـدة. وبموجـب بنـود العقـد، فقـد كـان على السـفن القيـام بـرحلتين كـل شـهر، وكـان تـاريخ انطــلاق أول رحلـــة هـــو يـــوم 20 أبريـــل 1860. [41] لكـــن، خـــلال العقـود الموالية، تـم الاتفـاق على الزيـادة في عـدد الـرحلات، إلى أن وصـلت إلى رحلـة كـل أسـبوع، كمـا تمـت إضـافة خدمـة نقـل المسـافرين المـدنيين في العقـد المبرم سـنة 1871، وهـو إجـراء مهـم ساهم في تنمية الممتلكات الشمال إفريقية.

- إعلان الموانئ الحرة

فـي عـــدد 6 ينــاير مــن ســنة 1863 مــن جريــدة غاثيطــا دي مدريـد Gaceta de Madrid، تـم نشـر بيـان صـادر عـن وزارة

---

[40] نسبة لى مدينة قادس.

[41] - La Correspondencia de España 17/04/1860.

المالية بخصوص صياغة قانون يتم بموجبه تحويل مينائي مليلية والجزر الجعفرية إلى موانئ حرة.

وقد تضمن البيان توضيحا لمبررات تحويل المستعمرات الشمال إفريقية إلى موانئ حرة، كتحويلها إلى مراكز تجارية هامة على شاكلة ميناء سبتة [42] الذي كان قد أعلن " ميناءا حرا مع بعض الاستثناءات ".

وقد خُتم ذلك البيان، بعدد من الآمال التي كان هناك طموح إلى تحقيقها في تلك الأماكن: " وأملنا أن تتحول من أماكن خالية وحزينة ترتبط بالعقاب والنفي، إلى مراكز كبيرة لتحقيق الثروة، ولترويج منتجات صناعتنا، وأن تصير عنصرا من عناصر نشر حضارتنا في تلك البلاد الشاسعة ".

وضمن عدد يوم الأربعاء الموافق ل 20 مايو 1863، لجريدة لاغاثيطا دي مدريد، نشر قانون صدر يوم 18 من نفس الشهر نص في بنده الأول، على تحويل موانئ سبتة ومليلية والجزر الجعفرية إلى موانئ حرة، في حين، أكد بنده الثاني على أن السلع الإسبانية المصدرة إلى باقي مناطق البلاد انطلاقا من الموانئ الثلاثة، لا تعتبر محلية، بل أجنبية.

---

[42] - سبتة، مدينة في أقصى شمال المغرب تطل على مضيق جبل طارق. احتلها البرتغاليون سنة 1415، وتنازلوا عنها لإسبانيا سنة 1668.

- محاولات الاستفادة من الثروة السمكية

لقد شكل الصيد البحري عنصرا أساسيا في تحقيق الإقلاع الاقتصادي المنشود للأرخبيل، فقد وفرت المياه المحيطة به والغنية بالثروات السمكية إمكانات كبيرة لخلق الثروة. هكذا، مُنح لميغيل أورس Miguel Ors في سنة 1849، ترخيص لتثبيت مضربات [43] في الجزر الجعفرية، وكذا، إنشاء بعض الورشات المخصصة لتمليح الأسماك. [44] كما قام بعض الصيادين، ومقر نشاطهم يوجد في بيا خوايوسا Villa joyosa في سنة 1868 [45]، باستئجار بعض السفن بهدف الصيد في مياه الجزر، لكن هذا النشاط لم يعمر طويلا. [46]

وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الرواد واجهتهم صعوبات كبيرة أثرت على عملية تطوير هذا النشاط الاقتصادي، وخصوصا البند الثاني من قانون تحويل ميناء الجزر إلى ميناء حر، والذي نص على معاملة السلع القادمة من الجزر معاملة البضائع الأجنبية، وبالتالي، أعاق هذا البند بشكل كبير تصدير هذه المنتجات إلى إسبانيا.

- طريقة تقليدية لصيد أسماك التونة. [43]

[44] - Islas Chafarinas،pág. 28.

- مدينة ساحلية توجد شرق إسبانيا ضمن إقليم القنت. [45]

[46] - Expansión y crisis de la actividadpesqueravalenciana.

وبالتالي وجب الانتظار إلى سنة 1894، لتقوم الحكومة بتغيير ذلك البند الوارد في قانون 18 ماي 1863، وبذلك تم تحرير الصادرات السمكية إلى شبه الجزيرة الأيبيرية.[47]

- النشاط التجاري والعلاقات مع قبيلة كبدانة

كان الدافع من وراء إعلان موانئ سبتة ومليلية والجزر الجعفرية موانئ حرة، تعزيز التجارة مع سكان المناطق الحدودية، وجعل الممتلكات الاسبانية بشمال إفريقيا مناطق منتجة، وتحويلها إلى أداة لخدمة المصالح الاسبانية في المنطقة.

لكن، خابت هذه الآمال في الجزر الجعفرية، وتعثرت تلك الأماني، لأنه لم يكن للمغرب مكتب جمارك في رأس الماء، وبالتالي تعذر تصدير البضائع من الجزر بشكل قانوني. فقد وافق المغرب على إقامة نشاط تجاري محدود مع الممتلكات الاسبانية بشمال إفريقيا (باستثناء مليلية)، حيث انحصرت التجارة بين الجانبين في تصدير المنتجات الزراعية والحيوانية لتموين سكان تلك المناطق. في موازاة ذلك، لم تقم إسبانيا، رغم انتصارها على المغرب في حرب تطوان لسنة 1860، بفرض إنشاء مكتب جمارك في رأس الماء، وضاعت بذلك أفضل فرصة للمساهمة في تنمية الجزر.

47 - Gaceta de Madrid del martes 17 de julio de 1894.

وبــالرغم مــن حظــر المغــرب اســتيراد الســلع مــن الجــزر الجعفريــة، فــإن تجــارا مــن كبدانــة كــانوا يقصــدونها لبيــع منتجــاتهم الفلاحيــة والحيوانيــة، في مقابــل، شــراء الســلع بــثمن مناســب بســبب الامتيــازات التــي كانــت تخولهــا وضــعية الميــناء الحــر، ممــا أدى إلى ظهــور نــوع مــن التبــادل التجــاري، وهــو مــا يطلق عليه اليوم في مليلية " التجارة غير النمطية ". [48]

في هــذا الســياق، دفعــت هــذه التجــارة غيــر النمطيــة، ممثلــي الســلطان فــي المنطقــة إلــى منــع زيــارة الجــزر تحــت طائلــة أداء غرامــات ماليــة ثقيلــة. وكــذلك، كــان قطــع العلاقــات التجاريــة في بعــض الأحيــان تقــرره الســلطات المحليــة مــن أعيــان القبائــل أو قيــاد المنطقــة دون تــدخل مــن الحكومــة المركزيــة المغربيــة، وهــذا ما أدى إلى اضطراب في التجارة.

في ســنة 1879 أمــر ت الحكومــة المغربيــة قايــد كبدانــة بعــدم التــدخل في شــأن تمــوين ســكان الجــزر. فقــد كانــت نتيجــة قطــع العلاقــات التجاريــة مــا بــين الجــزر الجعفريــة وراس المــا، يعنــي قطــع التمــوين عــن الســكان [49]. في هــذا الصــدد، تــم في شــهر شــتنبر 1864، إرســال زورق ســريع Lancha مــن الجــزر الجعفريــة إلى مدينــة مليليــة ليجلــب مــن هنــاك الزيــت واللحــم بســبب قلــة هــاتين المــادتين الغــذائيتين، فقــد كانــت الأغنــام مــن المنتجــات التجاريــة التقليديــة مــع ســكان قبيلــة كبدانــة. وقــد تــم فعــلا

---

[48] - التجارة غير النمطية هي تجارة التهريب.

[49] - La Correspondencia de España 07/09/1879.

إرسـال أربعـين خروفـا حيـا مـن مليليـة، كمـا تـم إرسـال براميـل مـن الزيت على متن مركب البريد ثيريس Ceres من مالقة.[50]

ومـع ذلـك، كـان هنـاك رجـال أعمـال مثـل هيخينيـو فرنانـديث Higinio Fernández، راهنـوا علـى الاسـتثمار في الأرخبيـل، بحيـث، سـمحت الحكومـة فـي سـنة 1870 لـه ولشـريكه مانويـل سانشـيث Manuel Sánchez، بتنظـيم رحـلات يوميـة بواسـطة سـفن بخاريـة في ملكيتهمـا مـا بـين مـوانئ سـبتة، مليليـة، صـخرة نكـور، والجـزر الجعفريـة، لتطـوير العلاقـات التجاريـة، سـواء مـع شـمال المغـرب لمصـلحتهما أو مقابل عمولة أو حصة من الأرباح.[51]

ولا نعـرف مـا آل إليـه مصـير هـذا المشـروع التجـاري، بسـبب تذبـذب العلاقـات بـين إسـبانيا والمغـرب، وخصوصـا مـع القبائـل الريفيـة، ونعنـي قلعيـة وكبدانـة، وهـي تقلبـات كـان سـببها الأساسـي، احتجاجـات الحكومـة المغربيـة ضـد عمليـات التهريـب التي كانت تمارسها السفن الإسبانية.

في هـذا الإطـار، نشـرت المفوضـية الاسـبانية بـالمغرب سـنة 1874 تقريـرا عـن الشـكوى المقدمـة مـن طـرف الحكومـة المغربيـة ضـد التهريـب الممـارس مـن طـرف السـفن الاسـبانية في سـواحل الريـف، وقـد ذكـرت المفوضـية بـأن النشـاط التجـاري كـان ممنوعـا علـى طـول السـاحل الممتـد مـن تطـوان حتـى الحـدود

[50] - El Clamor Público 02/10/1864.

[51] - Carta de Higinio Fernández publicada en La Iberia 14/01/1865. El Imparcial 28/08/1870.

الجزائريــــة، ومســــموح بـــه فقـــط عبــر ديوانـــة[52] مليليـــة، وأن الإعفـــاء مـــس فقـــط الإمـــدادات المتجهـــة إلـى صـــخرتي بـــادس ونكور، وكذا أرخبيل الجزر الجعفرية. [53]

- المشاريع الأولى لساتورنينو خيمينيث SATURNINO JIMÉNEZ في الجزر الجعفرية: مصنع راس الماء، والقاعدة البحرية الألمانية

كـــان لســـاتورنينو خمينيـــث شخصـــية مركبـــة، فقـــد كـــان مغـــامرا، ومكتشـــفا، ورجـــل أعمـــال وسياســـة. ولـــد في مينورقـــة، [54] وحـــارب إلـى جانـــب الحـــزب الجمهـــوري الفيـــدرالي، [55] وشـــارك فـي الاحتجاجـــات التـي شـــهدتها مدينـــة قرطجنـــة، والتـي اضـــطر بعـــد فشـــلها ســـنة 1874،[56] إلـى الهـــروب نحـــو مدينـــة وهـــران. وبعـــد اســـتفادته مـــن العفـــو عـــاد إلى إســـبانيا، ومـــن هنـــاك بـــدأ سلســـلة مـــن الـــرحلات التـي قادتـــه إلى بلـــدان أوربـــا الشـــرقية، وإلى روســـيا، والإمبراطوريـــــة العثمانيـــــة. وبعـــــد عودتـــــه ســـــنة 1883 اســـــتقر مجـــددا في مدينـــة وهـــران، وهنـــاك امـــتهن الصـــحافة، كمـــا صـــار

---

[52] - مركز الجمارك في الاصطلاح المغربي القديم.

[53] - La Época 03/10/1874.

[54] - إحدى جزر البليار.

[55] - حزب سياسي إسباني منحل، تأسس خلال الثورة المجيدة، وحكم إسبانيا خلال مرحلة الجمهورية الأولى ما بين 1873 – 1874 .

[56] - Para una visión general de los planes de Jiménez y el contexto intenracional: España, Alemania y Chafarinas.

ممثلا للجمعية الجغرافية بمدريد، والجمعية الأفريقانية ببرشلونة.

بعد رحلته إلى وادي ملوية، المنطقة الواقعة ما بين مليلية ووجدة وكبدانة، ركز اهتمامه على الجزر الجعفرية، ومنطقة رأس الماء، حيث أقام معسكره في مطلع سنة 1884.

من هناك، قام السيد خيمينيث المتخصص في الصحافة، بإرسال سلسلة من الرسائل لجريدة اليوم El Día المدريدية، شرح فيها خططه لإقامة وكالة تجارية في رأس الماء، تكون مرتبطة بالجزر الجعفرية، والتي ستستخدم كميناء لمشروعه. من خلال هذه الرسائل، يمكننا معرفة تفاصيل ما كان يقع في الجزر، وطبيعة علاقاتها بكبدانة والجزائر الفرنسية. هكذا، يصف في إحدى تلك الرسائل، التي يعود تاريخها إلى 4 مارس،1884، الجزر بأنها: " مستعمرة إسبانية تحتل وضعا ممتازا من الناحية التجارية والإستراتيجية والملاحية... لكن من المؤسف أن تستخدمها إسبانيا كمعتقل فقط". وقد انتقد الوضع الذي كان عليه ساكنة جزيرة إيسابيلا سيغوندا وتحصيناتها. هذه الساكنة التي بلغ تعدادها آنذاك 600 نسمة، منهم 186 منفيون، بالإضافة إلى حامية مشكلة من كتيبة للمشاة، وفصيلة للمدفعية من 12 جنديا، وعدد من المستخدمين وعائلاتهم.

أما بالنسبة للنشاط التجاري، فقد اعترف بأنه مزدهر، لأن قبيلة كبدانة طردت القايد، وهذا ما سمح لأفرادها بممارسة التجارة مع الجزر بشكل حر، حيث قاموا باقتناء زورقين

سـريعين مـن الغـزوات، وهـو مـا مكـنهم مـن الاتصـال مـع الجـزر بشـكل مسـتمر. وقـد اعتبـر خيمينيـث بـأن هـذه القبيلـة كانـت تميـل إلـى الجانـب الإسـباني، وبالتـالي، كـان يأمـل أن تعمـل إسبانيا على ترك الفرنسيين بعيدين عنها. [57]

لكـن مشـاريعه لـم تجـد طريقهـا إلى التنفيـذ كمـا كـان يتوقـع. بحيـث، بعـد توقيعـه بالأرخبيـل الجعفريـة أمـام الموثـق فرانثيسـكو مـارين Francisco Marín عقـد شـراء الأراضـي التي يرغـب في إقامـة وكالتـه التجاريـة عليهـا، فـوجئ بـرفض الحـاكم العسـكري فرانثيسـكو غـاييغو Francisco Gallego توثيـق العقـد، على اعتبـار أن هـذه الوثيقـة سـتؤثر سـلبا علـى العلاقـة مـع القبائـل. وقـد اعتبـر خيمينيـث أن سـبب هـذه العراقيـل هـو الرضـوخ لمصـالح تتعـارض مـع مشـروعه، لـذلك أعلـن أنـه سينتقل إلى الأراضي الفرنسية (الجزائر) لمواصلة مشاريعه. [58]

في هـذا الصـدد، تـم يـوم 30 أبريـل 1884، نشـر رسـالة مـن طـرف خيمنيـث، ذكـر فيهـا أنـه اجتـاز واد كـيس [59] نحـو الأراضـي التابعـة لفرنسـا، وانتقـد تقـاعس السـلطات الاسـبانية عـن تطـوير التجـارة وتنميـة مليليـة والجـزر الجعفريـة، وأعطـى مثـالا على ذلـك النمـو الـذي عرفتـه مدينـة الغـزوات، التي جلبـت لهـا التجـارة منـافع عظيمـة، حيـث تعتبـر الزيـوت الإسـبانية المسـتوردة

[57] - El Día 17/04/1884.

[58] - El Día 26/04/1884

[59]- أو واد أغبال. مجرى مائي صغير يصب في البحر الأبيض المتوسط، ويفصل بين الأراضي المغربية والجزائرية.

من مالقة من طرف الفرنسيين، من المنتجات الرائجة هناك، وأكد على أن الكثير من المنتجات التي تستهلك في مليلية والجزر الجعفرية يتم نقلها بواسطة الشركات الملاحية الفرنسية، كالشركة الوهرانية للنقل البحري Oranesa de Transportes Marítimos، التي كانت تربط وهران بالغزوات وبالجزر الجعفرية ومليلية.

وبعد إبداء السلطات الاسبانية عدم اهتمامها بمشروع وكالته التجارية في رأس الماء، سلك خيمينيث طرقا أخرى لتنفيذ مشاريعه. ففي عدد 20 مارس لسنة 1885، من الجريدة الألمانية Deutsche Kolonial Zeitung، ذات التوجه الاستعماري، والتي كان خيمينيث مراسلها في الجزائر، نَشر مقالا تحت عنوان: " ألمانيا في المغرب "، تحدث فيه عن إمكانية منح إسبانيا أراضي في الجزر الجعفرية لألمانيا من أجل إنشاء قاعدة بحرية ومخزن للفحم. و الواضح أن السيد خيمينيث كان يطمح إلى الاستفادة من القاعدة في حال إنشائها، لتكون ميناء لمشروعه الذي لم يتمكن من استكماله بسبب معارضة السلطات الإسبانية.

وقد أثار هذا المقال أثار احتجاجات داخل الدوائر الاستعمارية الفرنسية، التي استنتجت من خلال ما ورد فيه، أن تنازل إسبانيا عن الجزر لصالح ألمانيا هدفه وقف توسع فرنسا في المغرب. في حين، اعتبرت الدوائر الاستعمارية الأفريقانية الإسبانية، بأن المقترح حط بكرامة الأمة الاسبانية، ونتيجة لذلك طرد خيمينيث من الجمعية

الأفريقانيـة ببرشـلونة. ومـن جانبهـا، قامـت السـلطات الفرنسـية مباشـرة بعـد ذلـك بطـرده مـن الأراضـي الجزائريـة، ومـع هـذا الطرد، فشلت جميع مخططاته.[60]

وقـد تفاقمـت مشـكلة القاعـدة البحريـة الألمانيـة خـلال شـهر غشـت 1885، مـع حادثـة رسـو فرقاطـة ألمانيـة في جـزر المرجـان [61] التابعـة لإسـبانيا، حيـث كـان هـذا الحـادث علـى وشـك أن يـؤدي إلـى نـزاع عسـكري بـين الـدولتين. ونظـرا لأن ألمانيـا كانـت مهتمـة بـالجزر الجعفريـة، وحتـى لا يتكـرر مـا وقـع فـي جـزر المرجـان، فقـد تـم تعزيـز الـدفاعات بواسـطة قطـع جديـدة مـن المدفعية.

ختاما، ذكـرت صحيفة إل سيغلو فوتـورو El Siglo Futuro المدريديـة، بـأن هنـاك إشـاعات عـن عـزم الحكومـة المغربيـة التخلـي عـن رأس المـاء لصـالح إسـبانيا، في إطـار عمليـة تبـادل أراضـي، وذلـك مقابـل المسـتعمرة الاسـبانية القديمـة سـانطا كـروز دي مـار بيكينيا Santa Cruz de la Mar Pequeña،[62] وذلـك اسـتكمالا لمـا نصـت عليـه اتفاقيـة الصـلح الموقعـة سـنة 1860. فقـد أرادت الحكومـة المغربيـة بفضـل هـذا التنـازل لصـالح إسـبانيا، طـرح مقترحـات أخـرى لصـالح فرنسـا، وكـذا،

[60] - España، Alemania y Chafarinas.

[61]- مجموعة من الأرخبيلات والجزر والحلقات المرجانية الموجودة إلى جنوب الفلبين، تابعة حاليا لكيريباتي وبالاو.

[62] - مستعمرة إسبانية قديمة بالساحل الجنوبي للمغرب يعتقد أنها سيدي إفني.

كسب دعم الدولتين لمواجهة الطموح الاستعماري الألماني المفترض. [63]

ثالثا - الجزر الجعفرية – المعتقل

- معتقل الجزر الجعفرية

بغض النظر عن المشاريع التي كانت موجهة لتحقيق مردود اقتصادي في الجزر الجعفرية، فإن الحكومة الاسبانية كانت لا تزال تعتبرها مجرد معتقل، ومنفى للمسجونين لأسباب سياسية أو جنائية.

في هذا الصدد، كان معتقل الجزر الجعفرية مرتبطا بمليلية، لكنه شكل استثناء- ينطبق هذاالوضع أيضا على معتقلي نكور وبادس- داخل النظام الجزائي الإسباني، حيث كان من مسؤولية وزارة الحرب من حيث الإدارة والإشراف، - رغم أن العديد من السجناء الذين قضوا هناك عقوبتهم السجنية تمت متابعتهم من طرف محاكم مدنية عادية-، في حين، كان السجانون وموظفو المُعتقل يعينون من طرف وزارة الحرب، ويختارون من بين العسكريين الذين تم تسريحهم.

في هذا السياق، كانت إدارة المعتقل حسب قانون السجون الصادر سنة 1844، من مسؤوليات الحاكم العسكري للجزر، وكان السجناء مقسمين إلى فرق يرأس كل واحد منها مراقب، كما كانت الفرق مقسمة إلى طوابير، يرأس كل طابور منها

[63]- El SigloFuturo 22/12/1885.

رئـيس. ومــن المهــام الأخــرى بهــذا المعتقــل، نجــد المســئولين عــن الوُرَش وقد كانوا يختارون من السجناء ذوي المهارة الحرفية.

ولــم تكــن توضــع للســجناء ذوي الســلوك الحســن أصــفاد، حيـث كانـت تسـند إلـيهم مهمـة الأشـغال المنزليـة، أو تقـديم بعـض الخـــدمات، كمســـاعدين داخـــل المخـــازن والمستشـــفى، أمـــا البـاقون، فقـد كلفـوا ببنـاء التحصـينات والأشـغال العموميـة. وكـان المعتقلـون الـذين يقومـون بالأشـغال، يتلقـون مقابـل ذلـك راتبـا، كـان جـزء منـه يوضـع في صـندوق تـوفير، حتى يـتمكن السـجين بعـد إكمـال عقوبتـه مـن الاسـتفادة منـه في الإنـدماج مجـددا في المجتمـع. في هـذا الصـدد، كـان المحكومـون بـالجزر الجعفريـة سـنة 1857 يحصـلون علـى أجـر يـومي مقـداره ريـال واحـدا.[64] ومـع ذلـك فالحيـاة في الجـزر الجعفريـة لـم تكـن سـهلة، بسـبب انعـدام المـوارد، خصوصـا المـاء، الـذي كـان يخضـع لنظـام الحصص.

في الســياق ذاتــه، نجــد ضــمن عــدد يــوم 16 فبرايــر لســنة 1865 مـن جريـدة لا إيبيريـا La Iberia المدريديـة، مقـالا ينـدد بالمعاملـة السـيئة التـي يتلقاهـا السـجناء فـي كـل مـن مليليـة والجـــزر الجعفريـــة، والـــذين تعرضـــوا لتجـــاوزات وعقوبـــات صارمة لم تكن تسمح بها القوانين.

---

64 - El Clamor Público 18/02/1857.

هكذا، بعد إصلاح نظام السجون الإسباني، والذي انطلق العمل به ابتداء من سنة 1870[65]، أصبحت معتقلات كل من مليلية، الجزر الجعفرية، بادس، نكور والحسيمة تابعة لوزارة الحرب على مستوى تعيين الموظفين، المصالح الإدارية والموارد الاقتصادية. وتابعة لوزارة الداخلية في كل ما عدا ذلك. كما صارت هذه المعتقلات الشمال إفريقية مكانا مخصصا للمنفيين والمحكومين بالمؤبد والأشغال الشاقة.

في هذا السياق، أحدثت تبعية موظفي المعتقلات الشمال إفريقية لوزارة الحرب، عدم اعتراف من طرف باقي موظفي السجون، حيث كان موظفو السجون الشمال إفريقية يعينون دون إجراء المباراة التي كان على موظفي السجون التابعة لوزارة العدل اجتيازها. [66]

وبالنسبة لعدد المعتقلين الذين كانوا في الجزر، فقد كان يتراوح ما بين ثمانين ومئة خلال عقد الخمسينات من القرن التاسع عشر،[67]لكنه ارتفع فيما بعد بسبب الاضطرابات السياسية والاجتماعية التي عصفت بإسبانيا، حيث وصل عددهم في شهر ماي من سنة 1874 إلى 117 معتقلا، من بينهم 28 محكومون بالمؤبد، وذلك بسبب قمع الانتفاضات

---

[65] - La Gaceta de Madrid 14/12/1874.

[66]- Revista de prisiones 24/11/1902.

[67] - La España 02/10/1857.

الشعبية وبسبب الثورتين الكارلية[68]والكوبية[69] [70]، و نجد من بين أولئك المعتقلين الزعيم الفوضوي [71] القادسي (نسبة الى مدينة قادس)، فرمين سالبوشيا Fermín Salvochea، [72] أحد قادة الاحتجاجات الشعبية بإقليم قادس. والذي تصادف وجوده في المعتقل مع وصول الأفواج الأولى من المبعدين الكوبيين، حيث قدم لهم مساعدة تمثلت في تحويل زنزانته إلى مدرسة للأطفال يدرس فيها أبناء هؤلاء المبعدين، خصوصا وأن العديد منهم جاؤوا مصحوبين بأسرهم. [73]

- كوبيون وفلبينيون

إلى جانب المدانين بأحكام قضائية ، كان يوجد بالجزر الجعفرية من يطلق عليهم "المبعدون". وقد كانت عقوبة الإبعاد يقررها الحاكم العام لكوبا أو الفلبين.

كان معظم هؤلاء المبعدين من المثقفين، من ذوي المهن الحرة، أو من النخبة المتشبعة بالإيديولوجية الانفصالية،

---

[68]- سلسلة من الحروب الأهلية التي عرفتها إسبانيا خلال القرن 19، سببها مطالبة كارلوس دي بوربون وأبنائه بعرش إسبانيا.

[69] - La Gaceta de Madrid 26/06/1874.

[70]- سلسلة من الحروب التي وقعت بكوبا خلال القرن 19 بين الجيش الإسباني والثوار الكوبيين الساعين إلى تحقيق الاستقلال.

[71] - الفوضوية: تيار سياسي سعى معتنقوه إلى إقامة مجتمعات متحررة من سلطة الدولة تؤطرها جمعيات تطوعية.

- زعيم سياسي إسباني تولى مناصب هامة خلال مرحلة الجمهورية الأولى. [72]

[73] - Testimonio de Salvochea al diario El País 27/10/1902.

حيث تمت معاملتهم بأفضل مما كان يعامل به المساجين، ولتجنب مشكل الإيواء، تم تخصيص إحدى ثكنات جزيرة إيسابيلا سيغوندا لهذه الغاية.

بدأ وصول الكوبيين إلى الجزر الجعفرية عند نهاية عقد السبعينات من القرن التاسع عشر، وكان من أوائل الذين وصلوا إلى هناك، نجد كلا من إيميليو باكاردي Emilio Bacardí، [74] والجنرال الكوبي الشهير خوصي ماثيو José Maceo، [75] وشقيقه الجنرال رافاييل ماثيو، [76] الذي لقي حتفه بالجزر الجعفرية.

وبعد نهاية ما عرف بالحرب الصغيرة Guerra Chiquita في أكتوبر من سنة 1880، [77] تم إبعاد حوالي 190 رجلا، 30 امرأة و18 طفلا كوبيا نحو الجزر الجعفرية، [78] مما تسبب في بروز مشكلة الإيواء، فتم إرسال حوالي مائة شخص إلى مدينة سبتة. [79] كذلك، تم في السنة الموالية السماح للعديد من المبعدين بمغادرة الجزر والاستقرار في إسبانيا، لكن أعداد المبعدين إلى الجزر الجعفرية عادت إلى الارتفاع بعد اندلاع

---

[74] - سياسي ورجل أعمال ومفكر كوبي ناضل من أجل الاستقلال عن اسبانيا.

[75] - ثائر كوبي معروف ناضل مع شقيقيه أنطونيو ورفاييل من أجل استقلال كوبا قتل في المعركة سنة 1896.

[76] - جنرال في جيش التحرير الكوبي، ناضل إلى جانب شقيقيه خوسي وأنطونيو من أجل الاستقلال. لقي حتفه بالجزر الجعفرية.

[77] - إحدى حروب استقلال كوبا جرت وقائعها بين 1879 و 1880.

[78] - La Iberia 01/10/1880.

[79] - La Correspondencia de España 07/10/1880.

حـرب 1895 [80]، حيـث وصـل عـددهم في شـهر أبريـل مـن سـنة 1897، إلـى مجمـوع 180 محكومـا، مـن بيـنهم 99 كوبيـا و36 فلبينيا. [81]

لقـد كـان أهـم مـا حـدث سـجل خـلال هـذه الفترة، هـو فـرار المبعـدين الكـوبيين خوسـطو غارثيـا Justo García، (نجـل الـزعيم الانفصـالي كاليشـطو غارثيـا Calixto García)، [82] ومانويـل بلانـاس Manuel Planas، اللـذين تمكنـا مـن الإبحـار على مـتن قـارب فرنسـي أقلهـم إلى مدينـة الغـزوات، ومـن هنـاك توجهـوا إلى فرنسـا، وبعـدها نحـو كوبـا. وبعـد نهايـة الحـرب في كوبـا والفلبـين عـاد كـل المبعـدين الكـوبيين والفلبينيـين إلـى أوطانهم.

- الفوضويون المسجونون في الجزر الجعفرية

في أواخـر القـرن التاسـع عشـر، تحولـت الجـزر الجعفريـة إلى منفـى خـاص بالفوضـويين المـدانين بالمشـاركة في التفجير الشـهير الـذي اسـتهدف شـارع كـامبيوس نويبـوس Nuevos Cambios في مدينـة برشـلونة، ففـي السـابع مـن شـهر يونيـو مـن سـنة 1896، وعنـد مـرور موكـب كوربـوس كريسـتي Corpus christi،

- ثاني حروب استقلال كوبا عن اسبانيا، وقعت بين 1879 و 1880. [80]

[81] - Desterrados de la patria.

[82] - زعيم وثائر كوبي، شارك بفعالية في حروب استقلال كوبا الثلاث، حرب العشر سنوات، الحرب الصغيرة وحرب 1895.

[83] انفجـرت قنبلـة في هـذا الشـارع مخلفـة الكثيـر مـن القتلـى والجرحـى فـي صـفوف الحشـود التـي حضـرت الموكـب، وخـلال الأيـام الموالـيـة للحادثـة تـم اعتقـال الكثيـر مـن الفوضـويين للاشتباه بمشاركتهم في المؤامرة.

وقـد تمـت محـاكمتهم أمـام محكمـة عسـكرية انعقـدت فـي مونطيجويـك Montjuic،[84] خـلال شـهر ديسـمبر مـن نفـس السـنة، والتـي قضـت بإعـدام الـبعض، وأحكـام بالسـجن لمـدد طويلـة مـع الأشـغال الشـاقة للـبعض الآخـر، رغـم ادعـاء المعتقلـين أنهـم تعرضـوا للتعـذيب وللعديـد مـن الانتهاكـات. [85] ومـن ثـم، انطلقـت على إثـر ذلـك حملـة لمسـاندتهم كـان لهـا صـدى وطنـي ودولـي، وسـاهمت فـي بـروز الـزعيم اليسـاري المعـروف أليخاندرو ليروش Alejandro Lerroux.

وفي شـهر فبرايـر ،1900، قامـت الحكومـة بإلغـاء عقوبـة مـن تمـت إدانـتهم فـي محاكمـة مونطيجويـك، باسـتثناء فرانثيسـكو كاييس كالابيريا Francisco Callis Clavería، الـذي بقـي هنـاك حـوالي خمسـة أشـهر أخـرى، قبـل أن يُسـمح لـه، بعـد إصـابته بخلـل عقلـي، بمغـادرة المعتقـل. [86] ولكـن بصـفة أكيـدة، بقـي

---

[83] - عيد ديني مسيحي يحتفل به في بعض الدول الكاثوليكية.

[84] - بلدة كطالونية تابعة لإقليم برشلونة.

[85] - Sobre el atentado de CambiosNuevos y el proceso de Montjuic: El nacimientodelterrorismo en occidentepágs. 116 y ss.

[86] - La Dinastía 02/07/1900.

هنـاك في معتقـل الجـزر الجعفريـة بعـض السـجناء الفوضـويين حتى الأيام القليلة التي سبقت إغلاقه النهائي.

فـي مــوازاة ذلــك، اســتغلت لجنــة عماليــة تمثــل منظمــة الطبقـات الـثلاث Federación de las Tres Clases ، الزيـارة التي قــام بهــا الملــك ألفونســو الثالــث عشــر [87] إلى برشــلونة في أبريــل مــن ســنة 1904، للقــاء بجلالتــه، وتقــديم طلــب بــالعفو عــن العامــل أنطونيــو كــابفير Antonio Capvert، الــذي كــان يقضــي حكمــا بالســجن في معتقــل الجــزر الجعفريــة، بســبب مشــاركته فـي محاولــة اغتيــال رجلــي الحــرس المــدني، بيلانوبــا Vilanova وجيلطرو Giltrú. [88]

- نهاية معتقل الجزر الجعفرية

شــكلت ســنة 1906 نهايــة معتقــل الجــزر الجعفريــة، وبــاقي المعـتقلات الثانويـة الموجـودة في شـمال إفريقيـا، بحيـث، وصـلت إلى مليليـة في يـوم 26 يونيـو مـن نفـس السـنة الفرقاطـة " خنـرال كونتشـا General Concha"، وعلى متنهـا 101 معـتقلا هـم آخـر تبقـى مـن سـجناء الجـزر الجعفريـة، وصـلوا إلى مليليـة في عهـدة المــلازم بســلاح المشــاة مــانتيو Mantillo، الــذي كــان حتـى ذلــك التــاريخ يمــارس مهمــة مســاعد بمعتقــل الجزيــرة. ومباشــرة بعــد نــزولهم بمينــاء المدينــة،تم اقتيــادهم تحــت حراســة عســكرية

---

[87] - ملك إسبانيا بين 1886 و 1931.

[88] - La Dinastía 12/04/1904.

مشــددة إلـى حصــن فيكتوريــا غرانــدي Grande Victoria، وهناك تم إيداعهم إلى غاية معرفة وجهتم الجديدة.[89]

[89] - El Telegramadel Rif 27/06/1906.

الفصل الثاني: الجزر الجعفرية خلال القرن العشرين

أولا- عودة ساتورنينو خيمينيث وتهريب الأسلحة:

- عودة ساتورنينو خيمينيث

رغم أن السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر كانت فترة عصيبة بالنسبة لإسبانيا بصفة عامة، وللجزر الجعفرية بشكل خاص، إلى درجة التفكير في بيعها مع جزر المرجان [90] لألمانيا، إلا أن القرن العشرين جلب معه آمالا جديدة.

في هذا السياق، جلب السيد ساتورنينو خيمينيث JIMÉNEZ SATURNINO في سنة 1902 مشروعا جديدا إلى الجزر، حيث كان قد فشل قبل ذلك في إقامة وكالة التجارية على ساحل قبيلة كبدانة، الشيء الذي دفعه إلى بيع الأراضي التي كان يملكها هناك لشركة من برشلونة تحت اسم: " الشركة التجارية الإسبانية الإفريقية ". وقد حاولت هذه الشركة أن تحصل من الحكومة على تأكيدات وضمانات أمنية للأراضي التي اشترتها كضمان لإقامة المشروع المخطط له، لكن الرد السلبي للحكومة، جعل الشركة تتخلى نهائيا عن المشروع. [91]

---

[90] - مجموعة من الأرخبيلات والجزر والحلقات المرجانية الموجودة إلى جنوب الفلبين، تابعة حاليا لكيريباتي وبالاو.

[91] - España y la apertura de la cuestión marroquí págs. 334 y ss.

مـن جانـب آخـر، حصـل مشـروع الوكالـة التجاريـة في سـنة 1901 علـى فرصـة جديـدة، وهـي نفـس السـنة التي اسـتقر فيهـا خيمينـث في مليليـة مـع زوجتـه الروسـية، التي كـان يشـاع علـى أنهـا ابنـة المهنـدس الـذي أشـرف علـى بنـاء قاعـدة بـورت أرثـر[92] البحريـة الروسـية في كوريـا. هكـذا، حظـي السـيد خيمينيـث أثنـاء مقامـه في مليليـة بثقـة الجنرال بينـانثيو هيرنانـديث، الـذي أرسـل تلغرافـات لـوزير الحـرب الجنـرال وايلـر Weyler[93] يوصـي فيهـا بإقامة مشروع الوكالة التجارية في الجزر الجعفرية. [94]

وقـد اشـتمل المشـروع الـذي كـان خيمينيـث ينـوي إقامتـه في جزيـرة الملـك علـى رصـيف، مسـتودع للفحـم، مخـازن للسـلع وأوراش للصـيانة، فـي حـين، كـان مـن المنتظـر أن تـؤمن سـفن البريـد الـربط البحـري مـا بـين الجزيـرة وراس المـا، ثـم منـاطق مغربيـة أخـرى. وقـد كـان هـدف خيمينـث مـن هـذا المشـروع يتمثـل فـي اسـتيراد البضـائع وتسـويقها علـى طـول السـاحل الشـمالي للمغـرب، حيـث عمـل مـن أجـل تحقيـق ذلـك، علـى تأسـيس شـركة أسـماها: "الشـركة الإسـبانية لشـمال إفريقيـا "، وجعـل مقرهـا في الجـزر الجعفريـة. في نفـس الوقـت، نسـق مـع شـركات تجاريـة أخـرى كانـت تسـتقر في وهـران وفي مـدن إسـبانية

---

[92] - قاعدة عسكرية أنشأها الروس في منطقة منشوريا، كانت خلال الحرب الروسية اليابانبة مسرحا لمعارك عنيفة.

[93] - فالرينو وايلر: عسكري إسباني تولي مناصب مهمة، من بينها حاكم العام للفلبين والحاكم العام لجزيرة كوبا.

[94] - Telegramas citados en España, Alemania y Chafarinas

لأجـل نفـس الهـدف. ولضـمان نجـاح المشـروع، كـان لابـد مـن تحريـر التجـارة مـع كـل السـاحل الشـمالي للمغـرب، لـذلك خطـط خيمينـث للقيـام بحملـة دعائيـة تـدافع عـن فكـرة تحريـر التجـارة، [95] إلا أنـه، رغـم هـذه الجهـود، لـم يـتمكن مـن تحقيـق المشـروع، لأنـه بكـل بسـاطة، لـم يكـن قـابلا للتطبيـق بـالنظر إلى الإمكانـات الضـعيفة للجـزر الجعفريـة، ولأسـباب أخـرى عديـدة. [96]

فـي هـذا السـياق، كـان مـن الممكـن اعتبـار فشـل مشـروع خيمينيـث مجـرد فشـل تجـاري، لـولا رسـالة كتبها مـواطن فرنسـي كـان يقـيم في منطقـة واد كـيس اسـمه ليـون دوبوشـيف Leon Dubochef، نُشـرت ضـمن عـدد 2 شـتنبر 1901 مـن جريـدة لـو سـيكل الباريسـية، والتـي أعـادت نشـرها الجرائـد الإسـبانية، وقـد تحـدث في هـذه الرسـالة عـن زيارتـه للجـزر الجعفريـة ولقائـه بخيمينيـث، الـذي قـدم نفسـه باعتبـاره مالـك جزيـرة الملـك بموجـب الأمـر الملكـي المـؤرخ في 5 غشـت1902، والـذي أعطـاه حق التصرف في هذه الجزيرة لإقامة وكالة تجارية أو مصنع.

كمـا تفـاخر خيمينيـث بصـداقته القويـة مـع الجنـرال وايلـر، واقتراحـه عـزل حـاكم الجـزر بـابلو أرتـال إي عبـاد Pablo Artal y Abad، العقيـد في سـلاح المدفعيـة، واسـتبداله بالرائـد رافاييـل ريبـول أي كـابريرا Rafael Ripoll y Cabrera، نظـرا لكونـه،

[95] - España, Alemania y Chafarinas.

[96] - El Liberal 23/09/1902.

حسب خيمينيث، جد متحمس لتسهيل مشاريعه أكثر من العقيد بابلو أرتال.[97]

في هذا الصدد، أثار محتوى الرسالة زوبعة إعلامية، في وقت كانت المسألة المغربية تعرف فيه تطورات متسارعة، لذلك، سارعت الحكومة إلى تكذيب منح امتياز لشركة خيمينيث. في موازاة ذلك، أثيرت قضية الجزر الجعفرية داخل البرلمان البريطاني، حيث تردد ضمن المراسلات العسكرية البريطانية المؤرخة في 5 غشت 1902، صدى سؤال طرحه أحد أعضاء مجلس العموم حول صحة الشائعة التي تروج بخصوص التنازل عن الجزر الجعفرية لصالح روسيا، حيث كانت زوجة خيمينيث روسية الأصل كما سبقت الإشارة.

[97]- El Día, El País y La Correspondencia de España del 20/09/1902. La Dinastía 23/04/1902.

- تهريب السلاح وتبعاته:

كان السلاح والذخيرة من أكثر السلع التي تلقى رواجا لدى المهربين المغاربة، إذ مع وصول الطامح إلى عرش المغرب المعروف بالروغي[98] إلى وادي ملوية، تزايد الطلب على الأسلحة المهربة، مما مكن المهربين والمتواطئين معهم من التوفر على قوة اقتصادية، وعلى نفوذ أصبحت معهما سلطة حكام الجزر مهددة. وقد أصبحت الصحافة العسكرية تتحدث عن النفوذ الذي أصبح لهؤلاء " التجار "، إلى درجة تهديد المسار المهني للحكام الذين لا يسايرون مشاريع المهربين. [99]

في هذا الصدد، قد يكون هذا النفوذ مجرد تعبير عن رغبة السكان المدنيين في تسيير شؤون جماعتهم الصغيرة، وقد كان هذا الدور منوطا بهيئة الحكام Junta de Arbitros، وهو جهاز تأسس سنة 1897، يرأسه حاكم الجزيرة، في حين، كان جميع أعضائه من العسكريين، حيث بقي على تلك الشاكلة إلى أن تم تطبيق مجموعة من التعديلات سنة 1902.

لقد تكشفت قضية تهريب السلاح للرأي العام بعد نشر جريدة إل ديا في عدد 10 نونبر 1902، رسالة وصلتها من مليلية وتحمل توقيع شخص اسمه مصطفى، جاء فيها أنه في مستهل شهر أكتوبر غادر قارب دون إذن الجزر، متوجها نحو الساحل المغربي، وخلال نفس الليلة اكتشف تعرض نوافذ

---

[98] - الجيلالي الزرهوني أو بوحمارة، ثائر مغربي سيطر على المغرب الشرقي فيما بين 1902 و 1909 وهدد بشدة حكم مولاي عبد العزيز.

[99] - La Correspondencia Militar 24/02/1903.

ثكنـــــة المدفعيــــة إلـــى الكســـر، وأن بنـــدقيتي ريمنغتـــــون Remington قــد فقـدتا. عنـد عـودة القـارب في اليـوم التـالي ألقـي القـبض علـى طاقمـه، وتمــت مصــادرة مبلــغ ســبعين دورو مــن القبطان، الذي اشتُبه في أنه حصل عليها من بيع البندقتين.

وعلى الـرغم مـن فـتح تحقيـق، ونشـر كـل مـن جريـدة إل ديـا، والجريـدة العسـكرية، لسلسـلة مقـالات تكشـف عـن تعقيـدات هــذه التجــارة المخالفــة للقــانون، فلــم يــتم الكشــف عــن كــل جوانب هذه القضية.

في هـذا السـياق، تركـز تهريـب السـلاح على بنـادق رمنغتـون، التي كـان يطلـق عليهـا المغاربـة ميريكـانوس، نسـبة إلى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة حيـث كانـت تُصـنع، رغـم أن مسـتورديها كـانوا إسـبانا وبلجيكيـين. كـذلك، اسـتخدمت جزيـرة كونغريسـو غيـر المأهولـة لإخفـاء الأسـلحة إلى حـين بيعهـا للمشـترين المغاربـة، وقـد ذكــرت الصــحافة أســماء بعــض أولئــك المهــربين ك " كُــورُّو " و"تينيوســـو "و" حميـــد النيكـــرو "و" شـــورليطو "، واســـمه الحقيقـي هـو حميـد بـن ولاد الحـاج، والـذي كـان أكبـر مهـرب للســلاح في المنطقــة، وتمكــن مــن تكــوين عصــابة مــن أفــراد عائلتــه، تخصصــت في تهريــب الســلاح مــن الجــزر الجعفريــة، وكذا سرقة الماشية في منطقة كبدانة وواد كيس.

وقــد تمكــن " شــارليطو" مــن بيــع قســم مــن المســروقات (خصوصـا الماشـية) لسـكان الجـزر الجعفريـة، بعـد نقلهـا لـيلا إلى هنــاك، لكنــه لقــي حتفــه عنــد محاولتــه توســيع أنشــطته الإجراميـة لتشـمل تهريـب السـجناء، حيـث قتـل خـلال اشـتباك

مع المكلفين بالحراسة في جزيرة إيسابيلا سيغوندا، وكان ذلك يوم 9 دجنبر سنة 1901. [100]

- الجزر الجعفرية وبداية التحركات الاسبانية في المغرب

خلال السنوات الأولى من القرن العشرين، اتخذت الحكومة الإسبانية قرارا بتأهيل الجزر الجعفرية، خصوصا مع تجدد الاهتمام بالتدخل في المغرب، وكان من بين مشاريع التي تمت برمجتها، إنشاء الميناء. حيث كانت المشاريع التي بدأ تنفيذها سنة 1906، تعني ازدهار الجزر وتدفق الاستثمارات وازدياد عدد السكان.

في هذا الصدد، نشطت المبادلات التجارية مع قبيلة كبدانة بعد احتلالها من طرف جيش الروكي بوحمارة، الدعي الساعي إلى عرش المغرب، بحيث كانت القوارب تأتي إلى الجزر ثم تعود بكل حرية، محملة بالسلع التي كانت تباع لسكان المنطقة، بمن فيهم جنود المحلة المخزنية الذين ظلوا هناك.

من خلال المعطيات الاقتصادية المتعلقة بمناطق السيادة الصغيرة، والتي جمعها المؤرخ غابرييل دي موراليس Gabriel de Morales، [101] نجد بأن الجزر الجعفرية صدرت الحلفاء، الفحم والشعير بقيمة 2232 بسيطة، واستوردت الثياب،

---

[100] - La Correspondencia Militar 11/02/1903; 12/02/1903; 24/02/1903. El Día 11/02/1903; 13/ 02/1903.

[101] - عسكري ومؤرخ إسباني شغل منصب قائد الشرطة الأهلية في الريف الشرقي. قتل في معركة أنوال سنة 1921.

الشـاي، الـدقيق، الصـابون، القهـوة، السـكر، الملـح وسـلعا أخـرى بقيمـة 489.318،50 بسـيطة، وجـرى بيـع معظـم هـذه السـلع المسـتورة لتجـار كبدانـة. وقـد اسـتمرت هـذه التجـارة لسـنوات عـدة، حيـث نجـد في جريـدة مينـاء قرطجنـة لشـهر مـارس 1921، خبر وصـول سـفينة أنخيلـيس وعلى متنهـا حمولـة من الفحم قادمة من الجزر الجعفرية.[102]

ورغـم ذلـك، لـم يكـن هـذا التبـادل التجـاري قائمـا على أسـس متينـة تضـمن لـه للاسـتدامة، لـذلك اختفـى في وقـت قصـير، كـذلك، كـان الشـأن بالنسـبة لأهميـة مينـاء الجـزر الجعفريـة كملجـأ للسـفن خـلال الطقـس السـيء، والتي تلاشـت مـع احـتلال شـبه جزيـرة قلعيـة[103] خـلال حـرب 1909، حيـث أصـبح بإمكـان السـفن الرسـو في سـاحلها الغربـي إذا مـا هبـت ريـاح شـرقية قويـة، مـع إمكانيـة التواصـل مـع مدينـة مليليـة عبر البر، ولهـذا لـم يـتم إصـلاح الرصـيف الـذي كـان يـربط جزيـرة إيسـابيلا سـيغوندا بجزيـرة الملـك عقـب انهيـاره بسـبب عاصـفة ضـربت الجزر في مارس 1914.

مـن جانـب آخـر، أثـر احـتلال راس المـا مـن طـرف فرقـة المشـاة المتمركـزة بـالجزر تحـت قيـادة العقيـد أوخينيـو أنكـا Eugenio Anca، سـلبيا على أهميـة الجـزر، التي فقـدت بعضـا مـن نشـاطها التجـاري لصـالح القريـة التي أقيمـت بجانـب الثكنـة العسـكرية،

---

[102] - La Tierra 09/03/1921.

[103] - شبه جزيرة توجد في الشمال الشرقي للمغرب، تضم العديد من المدن أهمها مليلية والناضور...

والتي بررت الحكومة الإسبانية إنشاءها بكونها استجابة لطلب تقدم به أعيان قبيلة كبدانة، لمساعدتهم على حماية مخزن المؤن الذي أقيم براس الماء لتلبية الحاجيات المتزايدة لسكان الجزر، الذين تزايد عددهم مع قدوم العديد من العمال المشتغلين في ورش بناء الميناء.

- حرب 1909[104]

كان الدور الرئيسي الذي أنيط بالجزر الجعفرية خلال هذا الصراع، هو اعتبارها ميناءا تلجأ إليه السفن المحملة بالمؤن والذخائر والجنود، والمتوجهة إلى مليلية، في حالة هبوب رياح شرقية قوية، مثلما حدث أثناء حصار سنتي 1774 - 1775 [105]، وخلال حملة 1894، المعروفة بحملة مارغايو Campaña de Margallo، كما استخدمت الجزر سنة 1909 كمخزن للفحم المخصص للسفن الاسبانية.

في هذا الصدد، واجهت سفينة مونتيفيديو المملوكة لشركة ترانس أتلانتيكا Transatlántica والتي كانت تحمل فرقا عسكرية يوم 13 يوليوز، عاصفة قوية، اضطر معها الطاقم إلى البحث عن مرسى آمن في الجزر الجعفرية. نفس الشيء حصل مع سفينة بوينوس أيريس، التي رست بمرسى

---

[104] - مجموعة من المواجهات المسلحة التي وقعت ما بين سنة 1909 وبداية سنة 1910 بين الجيش الإسباني وقبائل قلعية بقيادة الشريف أمزيان.

[105] - حصار ضربه الجيش المغربي على مدينة مليلية على عهد سيدي محمد بن الله، وقد استمر أربعة أشهر.

الجزر في اليوم الموالي. وقد تكرر ذلك باستمرار طيلة أيام الحملة، وفي كل مرة تهب فيها رياح شرقية قوية. في موازاة ذلك، تم استخدام مستشفى الجزر خلال الحملة لتخفيف الضغط عن مستشفى مليلية، الذي كان يعالج فيه الجنود المرضى، والمصابون الذين يقضون فترة نقاهة.[106]

لقد تحققت الأدوار الصغيرة التي قامت بها الجزر الجعفرية، بسبب إحجام قبيلة كبدانة عن مساندة قبائل قلعية. وكذلك، بسبب بقاء المناطق القريبة من الجزر هادئة طيلة فترة الصراع، حتى جرى احتلالها فعليا خلال شهر شتنبر، انطلاقا من راس الما بواسطة فرقة تحت قيادة العقيد لاريا Coronel Larrea.

خلال هذه العملية، سقط عدد قليل من القتلى، من بينهم الجندي فرانثيسكو نيبوط، الذي توفي براس الما نتيجة للجراح التي أصيب بها، وجرى دفنه في مقبرة الجزر الجعفرية بعد أن نقلت جثته إلى جزيرة إيسابيلا سيغوندا على متن سفينة لا سيرينا المستأجرة من طرف صحيفة لاكورسبونديتثيا دي إسبانيا، و قام بحمل جثمانه إلى مثواه الأخير، كل من الصحفيين أرمينيان Armiñán، ليوبولدو روميو Leopoldo Romeo (مدير الصحيفة)، غييرمو ريتواغنGuillermo Rittwagen، وفيرير Ferrer.[107]

---

106 - ABC 23/10/1909.

107 - El Telegrama del Rif 18/08/1909.

في سـياق آخـر، كانـت السـفينة البخاريـة لاسـيرينا Sirena مخصصـة لنقـل التقـارير الصـحفية التـي كـان يعـدها محـررو صـحيفة لاكورسـبونديثيا دي إسـبانيا La *Correspondencia de España* المقيمـين بمدينـة مليليـة، إلى محطـة التلغـراف الموجـودة فـي الجـزر الجعفريـة، لتفـادي الرقابـة العسـكرية المفروضـة على مليليـة، عبر إرسـال المعلومـات بواسـطة أسـلاك البرق الـذي كـان يـربط الجـزر بمدينـة الغـزوات، [108] والـذي أقـيم فـي السـنة السـابقة –1908. ويبـدو أن هـذه الحيلـة لـم تكـن فعالـة، لأن السـلطات تمكنـت مـن اعتـراض البرقيـات عنـد وصولها إلى مدريد. [109]

[108] - مدينة جزائرية تابعة لولاية تلمسان، وتوجد بالقرب من الحدود المغربية الجزائرية.

[109] - Las comunicacionesmarítimas de Melilla en 1909

ثانيا - استغلال الثروات السمكية بالجزر الجعفرية

- اللجنة العلمية لسنة 1908: علماء البحار الاسبان يوجهون اهتمامهم نحو الجزر الجعفرية

كانت المنطقة البحرية الموجودة بين رأس المذرات الثلاث Tres Forcas،[110] الجزر الجعفرية وراس الما سنة 1908، محط اهتمام أولى البعثات العلمية المنظمة من طرف مختبر الأحياء البحرية بجزر البليار، (صار يسمى فيما بعد بالمعهد الإسباني لعلوم البحار)، والذي كان يرأسه عالم البحار والسياسي الجمهوري أودون دي بوين Odón de Buen الحاصل على الدكتوراه في علم الأحياء من جامعة برشلونة، وممثل هذه المدينة في مجلس النواب.

وقبل ذلك بعقود كان ألبير الأول، أمير موناكو Alberto de Mónaco، ومؤسس علم المحيطات، قد قام سنة 1877 برحلة علمية إلى الجزر الجعفرية على ظهر يختته " لا هيروندديل "La Hirondelle، وقد قادته تلك الرحلة أيضا إلى مليلية، وإلى جزيرة البرهان[111] وكذلك إلى مدينة وهران.[112]

---

[110] - رأس بحري يقع في أقصى شمال شبه جزيرة قلعية.

[111]- جزيرة تقع في البحر الأبيض المتوسط بين المغرب وإسبانيا، تتبع إقليم ألميريا الإسباني. مساحتها سبعة هكتارات، وهي كذلك إحدى الجزر المتنازع عليها بين البلدين.

[112] - La Época 28/07/1877.

وصـل أودون دي بـوين إلى مليليـة في الأيـام الأولى مـن شـهر يوليـوز سـنة 1908، وفي العشـرين مـن نفـس الشـهر زار الجـزر للمـرة الأولى، وانطلقـت علـى إثـر ذلـك الأبحـاث تحـت إشـرافه الفعلي، وبمشـاركة كـل مـن لـويس لوثـانو المتخصـص في الأحيـاء البحريـة، وكـارلوس بـاريلا المتخصـص فـي البلانكتـون، وكـذا علمـاء آخـرين. في نفـس الوقـت، تـم أخـذ عينـات مـن الأحيـاء البحريـة، والقيـام بالعديـد مـن عمليـات التجريـف لتحديـد طبيعة قاع البحر.

وقـد تحققـت اللجنـة مـن مـدى غنى ميـاه المنطقـة بالأسـماك، بسـبب تيـارات مضـيق جبـل طـارق، حيـث تتواجـد بالمنطقـة الكثير مـن الأنـواع التي تعـيش بـالمحيط الأطلسـي. وقـد اختتمـت البعثة العلمية الأولى في شهر شتنبر من نفس السنة.

عـادت اللجنـة العلميـة في سـنة 1909 لاسـتكمال الأبحـاث، واسـتمرت في عملهـا إلى أن قامـت الحـرب ضـد قبائـل قلعيـة، حيـث توقفـت عـن نشـاطها، ولـم تسـتأنفه مـرة أخـرى إلا في شـهر يوليـوز مـن سـنة 1910، وكانـت اللجنـة العلميـة خـلال هـذه المرة تتـوفر علـى مركـب شـراعي مخصـص للأبحـاث البحريـة، أطلـق عليه اسم ابن رشد، وتكون طاقمه من قبطان وثلاثة بحارة.

- انطلاقة نشاط الصيد البحري

مـع احـتلال أراضـي قبائـل قلعيـة وكبدانـة، أصـبح بإمكـان البحـارة الإسـبان الاسـتفادة مـن مجـال بحـري واسـع، معـروف

منذ القدم من بغناه من حيث الثروات السمكية، وهو ما تأكد عمليا بفضل النتائج التي توصلت إليها البعثة العلمية التي أشرف عليها أودون دي بوين.

تختلف أنواع السمك الموجودة في المياه القريبة من الجزر الجعفرية باختلاف فصول السنة، ففي فصلي الربيع والصيف تكثر الأسماك، خصوصا السردين والأنشوبة التي تجذب أسماك البينيت[113] وأسماك التونة، التي تستعمل القناة الفاصلة بين الجزر الجعفرية وراس الما أثناء هجرتها، وأيضا لتسمين اليرقات، هذا الغنى في الموارد السمكية دفع إلى التفكير في إقامة مجموعة من مشاريع الصيد بالمضربة.

ورغم ذلك، ظلت الجزر الجعفرية هامشية بالنسبة لنشاط الصيد البحري بمليلية، لأنه من جهة، كان على سفن الصيد الشراعية، نقل الأسماك المصطادة في مياه الجزر نحو شبه الجزيرة الأيبيرية، أو الإبحار 24 ميلا، وهي المسافة التي تفصل الجزر عن مدينة مليلية، وهي مسافة كبيرة بالنسبة لأنواع سفن الصيد التي كانت موجودة في تلك الفترة، والتي كان إبحارها يتوقف على هدوء البحر، ومن جهة أخرى، كان هذا النوع من السفن يفتقر إلى وسائل المحافظة على الأسماك بحالة جيدة أثناء نقلها، خصوصا خلال فصل الصيف، لكن كل هذا سيتغير مع انتشار السفن ذات المحرك وشيوع استعمال السيارات.

---

[113] - سمك شائع من فصيلة الأسقمري، يعرف محليا ب بونيطو.

وقد كان من العادي جدا، في صيف 1916 أن تعود سفن الصيد محملة يوميا بما يتراوح ما بين 1000 و1500 سمكة تونة، يتراوح وزنها ما بين 2 و 2.5 كيلوغرام، وهذه أحجام صغيرة بالنسبة لسمك التونة، وهذا ما أدى إلى استنزاف الثروة السمكية.[114]

وفي وقت لاحق، ظهرت سفن صيد تعتمد على الإنارة، عرفت بسفن الجر، و كان بحارتها يستخدمون الشباك ذات العيون الصغيرة، والمستخدمة عادة في صيد سمك السردين، وهو ما أدى إلى زيادة كبيرة في كمية الإنتاج بسبب اصطياد ا أنواع الصغيرة.

و كان قسم من الكميات المصطادة يحتفظ به عن طريق تمليحه أو وضع الثلج عليه، لتصديره إلى شبه الجزيرة، أما القسم الآخر، فكان يوجه للاستهلاك بالجزر الجعفرية ومليلية والمناطق المجاورة.

كما تم التفكير في إقامة مشاريع لتمليح وتعليب أسماك السردين والأنشوبة بالجزر الجعفرية، لكنها لم ترى النور . وعلى الرغم من أن الكميات المصطادة لم تكن تُصَنَّع في الجزر، إلا أن البحارة الذين كانوا يصطادون بالمياه المحيطة بها، والذين كانوا يستعملون ميناء جزيرة إيسابيلا سيغوندا، في حالات رداءة الطقس، و للتزود بالمؤن، وخصوصا الخبز،

114 - Algunos datos sobre el sector pesquero melillense.

وفي بعض الأحيان أخذ قسط من الراحة، ساهموا في جلب بعض الرواج لأصحاب المحلات التجارية والحانات.

ثالثا - فترة حرب الريف والحماية

- الجزر الجعفرية خلال فترة حرب الريف

كما كان الحال عليه خلال فترة حرب سنة 1909، لعبت الجزر الجعفرية دورا ثانويا في الحملات العسكرية التي قامت بها إسبانيا لاحتلال منطقة حمايتها بشمال المغرب، بخلاف مليلية التي كان تعرف نموا اقتصاديا وديموغرافيا وحضريا استثنائيا. ولم تستفد الجزر الجعفرية كثيرا خلال تلك الفترة من تلك المستجدات الطارئة، وباستثناء وصول خيوط الكهرباء سنة 1922، فإن حالة الجزر لم تتحسن كثيرا.

لقد تزامن الدور المهم للجزر الجعفرية مع ما يسمى كارثة أنوال، [115] التي سببتها انتفاضة القبائل ضد السلطات الإسبانية، حيث انضم العديد من الكبدانيين إلى صفوف المنتفضين، مما دفع بالسلطات العسكرية إلى إخلاء المواقع الداخلية. أما راس الما، فقد ظل تحت سيطرة القوات الإسبانية، في حين، تم إجلاء السكان المدنيين نحو الجزر، التي تحولت تحت قيادة أرسينيو فوينتيس إلى قاعدة خلفية للوحدات الموجودة في راس الما.

[115] - معركة وقعت يوم 1921/7/17 بين الجيش الإسباني والمقاومين المغاربة بقيادة المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وكمـا كـان الحـال عليـه في سـنة 1909، فقـد أقـيم في جزيـرة إيسـابيلا سـيغوندا مسـتودع للفحـم لتزويـد البحريـة الإسـبانية، حيـث كانـت الفرقاطـة بونيفـاز خـلال المراحـل الأولى مـن حـرب الريـف، تقـوم بواسـطة مـدفعيتها بحمايـة قاعـدة راس الما والممـر المـائي الـرابط بينهـا وبـين الجـزر الجعفريـة، والـذي كـان ضـروريا لنقل المؤن والفرق العسكرية.

فـي مـوازاة ذلـك، احتضـنت الجـزر الجعفريـة العـائلات الإسـبانية الهاربـة مـن التمـرد القبلي، والتي جـاء بعضـها مـن راس الما مباشـرة، والـبعض الآخـر مـن المنطقـة الفرنسـية. هكـذا، كـان يوجـد في الجـزر خـلال بدايـة شـهر غشـت (1921) حـوالي 180 لاجئـا، وكـان هنـاك ألـف آخـرون مـوزعين بـين بـور سـاي Port Say[116] وبركـان ووجـدة، والـذين يعتقـد أنهـم مـروا عبـر الجـزر الجعفريـة، دون أيـة مـوارد، حيـث كـان علـى السـلطات العسكرية أن تقدم لهم المأوى والمساعدة.[117]

كمـا وافقـت السـلطات في شـتنبر على مصـادرة الممتلكـات التي توجـد بـالجزر، والتي تعـود ملكيتهـا إلى الكبـدانيين المشـاركين في التمـرد. كـذلك، وكمـا كـان الشـأن عليـه في سـنة 1909، فقـد تـم نقـل الجنـود المرضـى والمصـابين والجرحـى الـذين هـم في فتـرة نقاهة إلى مستشفى الجزر.[118]

---

[116] - مدينة حدودية جزائرية تسمى حاليا مرسى بن مهيدي.

[117] - La Correspondencia de España 01/08/1921.

[118] - El Imparcial 20/09/1921.

مـن جانـب آخـر، أدت الزيـادة السـكانية الكبيرة إلى مشـكلة في التمـوين، ممـا أجبـر هيئـة الحكـام علـى شـراء الماشـية والمـؤن الضـرورية لتـوفير التمـوين الـلازم.[119] بعـد تلـك المرحلـة المضـطربة التي تزامنـت مع بدايـة الحـرب، عـاد الهدوء إلى الجـزر الجعفرية، و لم تعد هناك أية مواجهات عسكرية.

في هـذا السـياق، بقيـت الجـزر تمـارس دورهـا كمكـان يقضـي فيـه الجنـود الجرحى فترة نقـاهتهم، ومعـتقلا للأشـخاص الـذين يشـتبه في علاقـتهم بتمـرد قبائـل الريـف وقلعيـة، ومـن بيـنهم إدريـس بـن سـعيد [120]، الـذي يشـاع بأنـه تـرجم روايـة دون كيشـوت إلى اللغـة العربيـة، ومحمـد العصـماني Mohamed Asmani المعـروف بمـورو غـاطو، الـذي كـان محـل ثقـة الإسـبان في مليليـة خـلال حـرب 1909، بالإضـافة إلى عـدد مـن النسـاء والأطفـال ينتمـون إلى قبيلـة بني سـعيد، والـذين أخـذوا كرهـائن لإجبار القبيلة على الاستسلام.

وبعـد استسـلام محمـد بـن عبـد الكـريم، [121] تـم اقتيـاد بعـض رجالـه المقـربين، ومـن بيـنهم حميـد بـودراع، إلى معتقـل الجـزر. كـذلك، احتضـن سـجن الجـزر بعـض المعتقلـين العسـكريين المتهمـين بالتقصـير أثنـاء معركـة أنـوال، مـن بيـنهم، العقيـدين السـابقين خيمينيـث أوروس Jinenez Oros ورفاييـل

[119] - El Imparcial 13/11/1921.

[120] - أحد رجال المخزن عمل في دار النيابة، وتولى مناصب أخرى، كما لعب دور الوسيط بين الأسبان والخطابي في قضية الأسرى.

[121] - يقصد المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي.

غـاييغو Rafael Gallego، القائـد ثيرينيـولا لاريـا Ceriñola، النقيــب ســيبانتوس والملازمــان بلاخــا ودابينــا، وتــم بعــد ذلــك بوقــت قصـير، إطـلاق ســراحهم جميعــا، الــبعض بسـبب انقضــاء مــدة العقوبــة الســجنية، والـــبعض الآخـــر، نظـــرا لتمتعيـــه بالعفو.[122]

- الجزر الجعفرية خلال فترة الحماية

لــم تجلــب نهايــة الحــرب أيــة مســتجدات للجــزر الجعفريــة، بحيــث واصــلت تراجعهــا البطــيء الــذي اســتحال إيقافــه. فقــد دفعــت الحاجــة إلى تنميــة وتــأمين المنــاطق الخاضــعة لإســبانيا إلى الاهتمــام ببلــدات مثــل بيــا ســان خورخــو Villa Sanjurjo، [123] وراس المــا، على حســاب الممتلكــات الإســبانية القديمــة، كصـخرة نكـور Peñón de Alhucemas، صـخرة بـادس Peñón de Vélez والجزر الجعفرية.[124]

في هــذا الصــدد، تــم في شــهر شــتنبر مــن ســنة 1926 تــم نقــل القيــادة العســكرية التي كانــت في صــخرة بــادس إلى طــوريس دي ألكـالا ، [125] والتي كانــت في صـخرة نكـور إلى بيــا ســان خورخــو[126]، والتي كانـــت في الجـــزر الجعفريـــة إلى وراس المـــا. لكـــن في حالـــة

---

[122] - La Voz 24/07/1924.

[123] - بيا سان خورخو، اسم كان يطلق على مدينة الحسيمة إبان الحماية الإسبانية.

[124] - LaVoz 16/09/1926.

[125] - قرية مغربية توجد على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتتبع حاليا إقليم الحسمية.

[126] الحسيمة حاليا.

الجـزر الجعفريـة لـم يـدم ذلـك إلا مـدة قصـيرة، حيـث تـم سـحب مفـــرزة المشـــاة مـــن راس المـــا، وإعـــادة القيـــادة العســـكرية مـــرة أخرى إلى الجزر الجعفرية. [127]

أمــا علــى المســتوى الاقتصــادي، فقــد تــم إلغــاء العديــد مــن الامتيــازات التي كــان يتمتــع بهــا المينــاء الحــر، حيــث فرضــت إدارة الجمــارك التابعــة للحمايــة الإســبانية الــواجبــات الجمركيــة علــى الســـلع المصـــدرة للمغـــرب. ومـــن أجـــل تعزيـــز المبـــادلات التجاريـــة بـــين منـــاطق الســـيادة ومنطقـــة الحمايـــة، تقـــرر بموجـــب الأمـــر الملكـــي المـــؤرخ ب 3 أبريـــل 1913، تشـــكيل لجنـــة لدراســـة الســـبل الكفيلة بتحقيق هذا الهدف. [128]

في هــذا الســياق، اقترحــت هــذه اللجنــة تخفــيض الضــرائب الجمركيـــة المفروضـــة علـــى الســـلع المســـتوردة، ليـــتم تصـــديرها للمغـــرب، بالإضـــافة إلـــى تقلـــيص تكـــاليف شـــحن الســـلع نحـــو منـــاطق الســـيادة Plazas de Soberanía[129] لتكـــون لهـــا قـــدرة تنافســية، لكــن هــذه الاقتراحــات لــم تطبــق علــى أرض الــواقــع، بــل بقيت حبرا على ورق. [130]

في نفــس الوقــت، صــدر أمــر ملكــي ســمح بإنشــاء مــوانئ تجاريــة في راس الما، أركمان، سيدي موسى والناضور.

---

[127] - La Correspondencia Militar 25/10/1928.

[128] - Boletín zona española 01/04/1913.

[129]- المناطق الخاضعة للسيادة الإسبانية بالساحل المغربي: سبتة، مليلية، صخرة نكور، صخرة بادس والجزر الجعفرية.

[130] - Boletín zona española25/08/1913.

ورغم توفر ميناء راس الما على مكتب جمارك يمكنه من إقامة مبادلات تجارية مباشرة مع الجزر الجعفرية، إلا أن البضائع كانت تنقل من هناك نحو ميناء مليلية، مما أدى إلى تراجع حاد في نشاط الميناء الحر للجزر الجعفرية، ونتيجة لذلك فقد سنة 1934 وضعيته كميناء حر. [131]

وكمثال على ذلك، نذكر بأنه في سنة 1926 كانت المواصلات البحرية بين الجزر ومليلية تقتصر على رحلة واحدة أسبوعيا على متن سفينة غانديا ذات الستة والثلاثين مترا، وكانت المغادرة تتم في منتصف نهار يوم السبت، والعودة تكون يوم الأحد. غير أن قرب الجزر من راس الما، جعل من الممكن السفر إلى مليلية عبر البر في وقت قصير إذا كان الطقس يسمح بالعبور.

أما فيما يتعلق بالصيد البحري، فقد واصل تطوره لكن مع مخالفة تامة لقوانين الصيد، مما كان يهدد باستنزاف الثروة السمكية. هكذا، قامت السلطات البحرية في صيف 1927 بدوريات تم على إثرها إيقاف سبع سفن صيد كانت تصطاد في منطقة محظورة، ومصادرة 145 صندوق سمك، وتوجيهها إلى مليلية في انتظار صدور العقوبات في حق ملاك السفن المخالفة.[132]

---

131 - Islas Chafarinas pág. 80.

132 - La Correspondencia Militar 09/08/1927

وخـلال فتـرة النظـام المـديري العسـكري لبريمـو دي ريبيـرا، [133]، تـم نفـي العديـد مـن المعارضـين إلـى جزيـرة إيسـابيلا سـيغوندا، مـن بينهم الكاتـب فرانثيسـكو كاسـيو، وأرتـورو كاسـا نوبيا، والسياسي ورجل القضاء خيمينيث دي أسوا.

كـذلك، اسـتقبلت الجـزر الجعفريـة خـلال الفتـرة الأخيـرة مـن حكـم الملـك ألفونسـو 13، 41 رقيبـا وجنـديا مـن أجـل اسـتكمال الأحكـام التي صـدرت في حقهـم مـن طـرف القضـاء العسـكري، بسـبب مشـاركتهم في التمـرد الـذي قـام بـه جنـود جمهوريـون في ثكنـة خاكـا Jaca[134]، حيـث وصـلوا إلى هنـاك يـوم 4 أبريـل 1931. ومـع إعـلان الجمهوريـة يـوم 14 أبريـل مـن نفـس السـنة،تم إطـلاق سـراحهم، ووصـلوا في اليـوم المـوالي إلـى مليليـة، حيـث استقبلوا بحفاوة بالغة.

- الجزر الجعفرية خلال فترة الجمهورية، الحرب الأهلية، وحكم الجنرال فر لكو

مـع قيـام الجمهوريـة، شـارك سـكان الجـزر الجعفريـة بجانـب سـكان سـبتة ومليليـة في المطالبـة بالمسـاواة في الحقـوق المدنيـة مع بـاقي أفـراد الأمـة الإسـبانية. وقـد تمثـل هـذا التحـرك المـدني في بعض المظاهرات، وتوجيه العرائض إلى الحكومة.

---

[133] - جنرال رفيع حكم إسبانيا ما بين سنوات 1923 إلى وفاته سنة 1930، عرفت فترة حكمه ب"النظام المديري العسكري El Directorio Militar

- بلدة تقع شمال شرق إسبانيا ضمن إقليم هويسكا. [134]

في هـذا الصـدد، قـدم فـرع حـزب الاتحـاد الجمهـوري بمدينـة مليليـــة يـــوم 23 غشـــت 1931 العلـــم الجمهـــوري لمجلـــس الخـدمات البلديـة بـالجزر الجعفريـة، تقـديرا لـه علـى حسـن المعاملـة التي تلقاهـا الجنـود الـذين شـاركوا في تمـرد خاكـا خـلال فترة نفـيهم إلى الجـزر كمـا أشـرنا سـابقا. وقـد جيء بـالعلم إلى الجـزر عبر راس المـا، وحملتـه لجنـة تمثـل الحـزب كـان مـن بـين أعضـائها، السـيدان رامـون وإداوردو دي بوسـطوس، وهمـا مـن أهـم القـادة الجمهـوريين في مليليـة. وحسـب جريـدة تليغرامـا ديـل ريـف، فقـد اطلـع القـادة الجمهوريـون على الإهمـال الـذي طـال سـكان الجـزر، والـذي بـدا ظـاهرا للعيـان، مـن خـلال تـدهور جميع مباني جزيرة إيسابيلا سيغوندا. [135]

في هـذا السـياق، قـام ممثلـون عـن سـكان الجـزر بعـد فـوز الجبهـة الشـعبية [136] بالانتخابـات، بإرسـال برقيـة تهنئـة إلى كـل مـن السـيد لـويس بارينـا، الفـائز بمقعـد في مجلـس النـواب عـن مدينـة مليليـة، وإلى زعمـاء الجبهـة الشـعبية، بينـوا فيهـا بـأنهم شـاركوا في الانتخابـات رغـم اسـتحالة تنظيمهـا في الأرخبيـل، وطـالبوا بمـنحهم الحقـوق المدنيـة، وفي الختـام اقترحـوا تغيير اسم الجزر الثلاث إلى الحرية والإخاء والمساواة.[137]

---

[135] - El Telegrama del Rif 25/08/1931

[136] - تحالف انتخابي بين عدة منظمات يسارية إسبانية، ترأسه مانويل أثانيا، الذي فاز بمنصب الرئاسة في انتخابات 1936.

[137] - El Heraldo de Madrid 25/02/1936.

من جانب آخر، لم يكن للتمرد العسكري الذي حصل يوم 17 يوليوز 1936، صدى مباشرا داخل الجزر. في حين لم يطل القمع الفرانكاوي إلا فئة محدودة جدا من السكان. [138]

كذلك، لم تتعرض الجزر خلال الحرب الأهلية الإسبانية إلى القصف الجوي أو البحري، حيث انقضت سنواتها الثلاث دون أحداث تذكر، باستثناء فرار ثمانية بحارة إلى الجزائر على متن مركب الصيد أنطونيو مارفيل الذي كان راسيا في ميناء مليلية بعد حصولهم على ترخيص بالصيد في مياه الجزر الجعفرية من طرف السلطات الفرانكوية، حيث أبحروا يوم 17 ماي 1937 نحو وجهتهم قبيل الفجر كما كان معتادا. لكن، عندما لفت انتباههم غياب خفر السواحل، توجهوا نحو الغزوات، وهناك انقطعت أخبارهم منذ ذلك الحين. [139]

في السياق ذاته، لم تكن فترة ما بعد الحرب قاسية على الجزر كما كان الحال عليه في مناطق أخرى، حيث كان بإمكان السكان التزود بالمؤن من راس الما، أما الخبز والأسماك، فقد كانا متوفرين بشكل دائم، رغم قلة جودتهما. [140]

رغم ذلك، فقد تم الاحتفال خلال تلك السنوات المظلمة بمرور قرن على احتلال الجزر، [141] عبر تنظيم استعراض عسكري في مليلية. كما وقعت خلالها أيضا عاصفة شديدة في

---

[138] - Islas Chafarinas pág. 84

[139] - LaVoz 01/06/1937.

[140] - Islas Chafarinas pág. 84.

[141] - ABC 07/01/1948.

شهر ديسمبر من سنة 1949، ألحقت أضرارا بالغة بالسفن التي كانت راسية في ميناء مليلية، بينما تمكنت مراكب الصيد من الاحتماء بالجزر الجعفرية.[142]

- السراب المسمى إعادة إحياء الجزر الجعفرية

في ما بين سنتي 1952 و1953، كانت فترة الحماية قد وصلت إلى نهايتها، حيث أشاعت أبواق الدعاية التابعة للنظام، أن هناك العديد من المشاريع المقرر تنفيذها بالأرخبيل تحت شعار إعادة إحياء الجزر الجعفرية. وقد أشارت جريدة أ. ب. ث A. B. C بأن تلك المشاريع " ستكون علامة فارقة في تاريخ الجزر، وستشكل دليلا حاسما على الوجود الإسباني في المغرب ".

في هذا الصدد، كان من بين المشاريع المنتظر تنفيذها، إصلاح الكنيسة وعددا من المباني، تطوير الميناء لجعله قادرا على استيعاب السفن الكبيرة وتلك المخصصة لصيد التونة، بناء مقر للصيادين ومنشآت لتنمية نشاط الصيد البحري، نُزل سياحي، إقامة خط بحري أسبوعي يربط الجزر بمدينة مليلية لتلبية حاجيات "السياح الذين سيتوافدون بكثرة" على الأرخبيل.

لكن، رغم ترويج اثنان من كبار الأفريقانيين الفرانكاويين، وهما الجنرال غارثيا بالينيو[143](المندوب السامي وحاكم

---

142 - LaVanguardia 16/12/1949.

منــاطق الســيادة)، والمــؤرخ طومــاس غارثيــا فيغيـراس[144] لهــذه المشــاريع، إلا أنــه لـم يتحقـق منهـا أي شـيء، مثـل بـاقي المخططـات التـي كـان مـن المنتظـر أن تنفـذ فـي الجـزر، باسـتثناء تـرميم الكنيســة وبعـض المبـاني وسـاحة السـلاح، التـي أصـبحت تحمـل اسـم سـاحة غارثيـا بـالينيو. كمـا تـم بنـاء بعـض الأكـواخ المخصصـة للصـيادين الـذين كـانوا يتمركـزون في جزيـرة إيسـابيلا سيغوندا. [145]

مـن جانـب آخـر، تـم فـي ينـاير 1955 اسـتخراج الرفـات المفترضـة للـزعيمين الانفصـاليين الكـوبيين، الـذين قضـيا نحبهمـا في الجـزر وهمـا: رفاييـل ماسـيو [146] والعقيـد خـوان ثينتـرا. بنـاء على طلـب مـن الحكومـة الكوبيـة. و بـالموازاة ذلـك، قـام النظامـان الكـوبي والفراكـاوي، بتنظـيم سلسـلة مـن الاحتفـالات بمناسـبة تبادل رفات من ماتوا في حرب استقلال كوبا. [147] [148]

---

[143] - عسكري إسباني لعب أدورا مهمة خلال الحرب، فترة الجنرال فرانكو، كما تولى منصب المندوب السامي لإسبانيا في المغرب.

[144] - عسكري ومؤرخ إسباني، شغل منصب نائب الشؤون الأهلية إبان الحماية الإسبانية على شمال المغرب.

[145] - ABC 19/09/1953. Islas Chafarinas págs. 89, 90, 91.

[146] - ثائر كوبي معروف، ناضل مع شقيقيه أنطونيو وخوسي من أجل استقلال كوبا.

[147] - سلسلة من الحروب التي وقعت في كوبا خلال القرن 19 بين الجيش الإسباني والثوار الكوبيين المطالبين بالاستقلال.

[148] - ABC 22/01/1955 y 29/01/1955.

ر ابعا - الجزر الجعفرية من استقلال المغرب إلى أزمة 1975

- استقلال المغرب

في أبريل من سنة 1956 استعاد المغرب استقلاله، وبدأت عملية إعادة انتشار القوات الإسبانية والتي استمرت إلى غاية سنة 1961. في هذا الصدد، تم مع نهاية الحماية إلغاء منصب المندوب السامي، مما حتم إدخال تغييرات على التنظيم الإداري في سبتة ومليلية والممتلكات الشمال إفريقية، وظلت الجزر الجعفرية تابعة للقيادة العامة بمليلية.

وبعد سنوات قليلة، تم تقليص الوجود العسكري في الجزر الجعفرية، حيث اقتصر على حامية واحدة بعد أن كانت ترابط بها كتيبة عسكرية. كما تم إلغاء منصب القائد العسكري للجزر الجعفرية، وتولى اختصاصاته الضابط المسئول عن الحامية.

خلال السنوات التي تلت استقلال المغرب، استمرت الحياة في الجزر على طبيعتها، كما تواصلت علاقات الجوار مع قبيلة كبدانة، وواصل سكان الجزر التزود من راس الما بالمنتوجات الطازجة، بالاعتماد على الرصيف الصغير بسبب صعوبة التنقل إلى مليلية.

كذلك، واصلت الصيد المملوكة لسكان راس الما، الرسو قريبا من جزيرة إيسابيلا سيغوندا، ويتذكر أنطونيو باردو، الذي أمضى تلك السنوات في الجزر، أن طواقم تلك السفن كانوا بمجرد الرسو يغادرون نحو راس الما في قارب الأضواء،

تـاركين شخصـا لحراسـة سـفينة الصـيد، مـا لـم يكـن الطقـس سيئا، إذ في تلك الحالة، يضطر الطاقم كله إلى البقاء.

أمـا فيمـا يتعلـق بالصـيد في الميـاه المحيطـة بـالجزر، والتي لـم تعتبرهـا إسـبانيا مطلقـا ميـاه خاصـة، فقـد تـم اسـتغلالها بموجـب اتفاقيـة 1957، التـي ضـمنت للصـيادين المغاربـة والإسـبان الصـيد في الميـاه الإقليميـة للبلـدين، كمـا كـان الحـال عليه دائما.

لقـد بقيـت الأمـور علـى حالهـا إلـى غايـة سـنة 1969، تـاريخ توقيـع أول اتفاقيـة صـيد بـين إسـبانيا والمغـرب، والتي حـددت الميـاه الإقليميـة ب 12 مـيلا بحريـا لكـل بلـد، مـع التأكيـد علـى " الحقوق التاريخية " للصيادين الإسبان في المياه المغربية. [149]

وقـد سـمحت هـذه الاتفاقيـة للصـيادين الإسـبان، وخصوصـا المليليـين، بالاسـتمرار في ممارسـة نشـاطهم في الجـزر الجعفريـة، لكـن، سـنوات قليلـة بعـد ذلـك انـدلع نـزاع بـين البلـدين علـى عـدة جهات، من بينها قطاع الصيد البحري.

- الأزمات المغربية الإسبانية خلال عقد السبعينات: قضية الصحراء، الصيد البحري، المطالبات التر ابية

انطلقـت شـرارة هـذه الأزمـات بسـبب الصـيد البحـري، حيـث كانـت الاتفاقيـة الموقعـة بـين البلـدين سـنة 1969 محـدودة الفعاليـة، ولـذلك تـم إلغاؤهـا سـنة 1972. وقـد اسـتغل المغـرب

149 - BOE del 05/06/1969.

هــذا الإلغــاء، ليقــوم عنــد بدايــة ســنة 1973 بمضــاعفة عــرض منطقتــه الاقتصــادية الخاصــة ليبلــغ 70 مــيلا بحريــا، وهــو الإجـراء الـذي قامـت بـه حينهـا مجموعـة مـن الـدول التي تمتلـك ثــروات ســمكية هامــة، رغــم أنــه لــم يكــن قائمــا علــى أســس قانونية على المستوى الدولي.

مـن جانـب آخـر، كـان لميناء مليليـة وضـع خـاص، حيـث كـان قاعـــدة انطـــلاق للعديـــد مـــن ســـفن الصـــيد المغربيـــة، وكـــان مســموحا للصــيادين الإســبان كــذلك، الصــيد في الميــاه المغربيــة، إلـى حــدود يــوم 2 يوليــوز 1973، حيــث قامــت دوريــة مغربيــة باحتجـــاز مركـــب الصـــيد كـــواترو منـــدامينتو، واقتيـــاده إلـــى الحسـيمة. وقـد نـتج عـن هـذا الحـادث، تعطيـل أسـطول الصـيد المليلي عن العمل عدة أيام، إلى أن تتضح الأمور.

وفي نــوفمبر مــن نفــس الســنة وقــع حــادث آخــر مــع خفــر الســواحل المغربي، وهــذه المـرة في ميـاه الجـزر الجعفريـة، إذ تـم في يـوم 27 مـن نفـس الشـهر، احتجـاز سـفينة الصـيد غوتيـاغو، عنـد تواجـدها على بعـد سـتة أميـال مـن الجـزر، كمـا تـم احتجـاز الســفن التاليـــة: أولبيــرا غايـــاردو، كينيـــوبيرو وبالومـــا بلانكـــا، وجميعهـا مسـجلة بمليليـة، وذلـك عنـد عودتهـا إلى المينـاء، حيـث تـم اقتيادهـا إلـى الحسـيمة، التي توجـد بهـا قاعـدة للبحريـة الملكيـة المغربيـة، وقـد سـمح لهـا بـالعودة إلى مليليـة في يـوم 30 نوفمبر من نفس السنة. [150]

---

[150] - El Telegrama de Melilla y ABC del 28/11/1973. La Vanguardia 01/12/1973.

لقد كان من الممكن حل المشاكل المتعلقة بالصيد البحري عن طريق التفاوض وعقد الاتفاقيات الثنائية، لكن المطالبة المغربية باسترجاع الأقاليم الصحراوية التي كانت تحت الوصاية الاسبانية، عبر تقديم طلب إلى هيئة الأمم المتحدة لتصفية الاستعمار، وكذا ضغط المغرب على إسبانيا عبر تدويل المطالبة باستعادة مناطق السيادة في سبتة، مليلية، الجزر الجعفرية وصخرتي نكور وبادس أدى إلى اندلاع أزمة جديدة بين المغرب وإسبانيا. وفي هذا الصدد، وجه المندوب المغربي لدى هيئة الأمم المتحدة، رسالة إلى للجنة تصفية الاستعمار في شهر فبراير 1975، يطالب فيها بإدراج هذه الأقاليم ضمن لائحة المناطق الخاضعة لتصفية الاستعمار، لكن اللجنة لم تأخذ هذه الرسالة بعين الاعتبار. وفي النهاية، تم توقيع اتفاقية مدريد يوم 14 نوفمبر 1975، التي تخلت إسبانيا بموجبها عن إدارة الصحراء لصالح المغرب وموريطانيا، مما أدى إلى عودة الهدوء إلى العلاقات المغربية الإسبانية.

- تراجع نشاط الصيد البحري بالجزر الجعفرية

عادت العلاقات بين البلدين على مستوى الأنشطة البحرية بعد اتفاقية مدريد إلى طبيعتها، كما عادت السفن القليلة المتبقية في مليلية، بالإضافة إلى سفن أخرى كانت تأتي

مـن ألميريـة وأدرا وبربـاطي للصـيد فـي ميـاه الجـزر الجعفريـة، خصوصا في سنوات الوفرة.

في هـذا الصـدد، يتـذكر خوسـي لوبيـث لوبيـث، مالـك سـفينة صـيد مـن أدرا، جيـدا تلـك الفتـرة التـي يطلـق عليهـا " سـنوات أنشوبة مليلية ".

لكـن، سـوء اسـتغلال الثـروات السـمكية، عبـر اسـتخدام الصـيادين الإسـبان والمغاربـة للمتفجـرات، أدى خـلال أواسـط عقـد الثمانينـات إلـى اسـتنزاف الثـروة السـمكية كمـا ألحـق بهـا ضررا شديدا بالبيئة البحرية.

في السـياق ذاتـه، عنـدما كانـت اتفاقيـات الصـيد بـين المغـرب وإسـبانيا سـارية المفعـول، كانـت سـفن الصـيد الإسـبانية تمـارس نشـاطها في ميـاه الجـزر الجعفريـة، وتسـتخدم رصـيفها للجـوء في حالـة الضـرورة لتفـادي الحـوادث، مثلمـا وقـع لسـفينة ماريسـول التـي جنحـت فـي يونيـو 1996 بـالقرب مـن جزيـرة إيسـابيلا سـيغوندا. ذلـك، أن حاميـة الجزيـرة، بالخصـوص جنـود البحريـة، حـاولوا تقـديم المسـاعدة إلى طـاقم السـفينة المنكوبـة فـي حـدود الإمكانيـات المتـوفرة، لكـن، احتاجـت السـفينة إلـى مسـاعدة إضـافية نتيجـة للتيـارات البحريـة القويـة، وسـوء الأحـوال الجويـة، ومـن ثـم، تـم إرسـال سـفينة الإنقـاذ " سـالبامار 1 "، التـي وجههـا مؤلـف هـذه السـطور مـن مليليـة، مـع طـاقم متخصـص لأجـراء الإصـلاحات الضـرورية، والتـي مكنـت سـفينة الصيد من الإبحار مجددا، والعودة إلى ألميريا.

خامسا - الجزر الجعفرية في الوقت الحاضر

- نهاية الساكنة المدنية في الجزر الجعفرية

عند نهاية عقد السبعينات، وصلت الجزر الجعفرية إلى حالة من التدهور الشامل، وتم تخفيض حاميتها إلى فرقة من الريغولاريس[151] يرأسها قبطان، وفرقة من جنود البحرية يرأسهم رقيب. في حين، انحصر الوجود المدني داخل جزيرة إيسابيلا سيغوندا في موظف تلغراف، خباز ومسئول عن المنار، كما كان يحل بالجزيرة في بعض الأحيان أقارب أحد الجنود بهدف الزيارة. لكن، سنوات قليلة بعد ذلك غادر المدنيون نهائيا الجزيرة، لأن مهامهم لم يعد لها وجود، كما هو حال موظف التلغراف والمسئول عن المنار، أو تولاها موظفون تابعون لوزارة الدفاع يتغيرون كل شهر، كما هو حال الخباز والميكانيكي البحري.

كما صارت المواصلات البحرية مع مليلية منحصرة في رحلة واحدة كل أسبوعين، تؤمنها سفينة " ليون إي كاستيو "، المملوكة لشركة تراسميديترانيا. أما المواصلات مع راس الما، فقد كانت مستمرة على متن مركب مملوك لشخص يعرف باسم " لارغو ".[152]

---

[151] - مجموعات عسكرية تأسست سنة 1911، وتشكلت من القوات الأهلية المغربية تحت قيادة ضباط إسبان، واندمج جزء منها في القوات المسلحة الملكية بعد الاستقلال سنة 1956. تتمركز حاميتها حاليا في سبتة، مليلية، الجزر الجعفرية وصخرتي نكور وبادس.

[152] - Reportaje de Alberto Miguez en La Vanguardia del 16/07/1977

هكـذا، انتهى الوجـود المـدني داخـل الجـزر الجعفريـة مـع تقاعـد المسـئول عـن المنـار، والمسـئول عـن الميـنـاء السـيد مانويـل غونثاليـث مادوليـل سـنة 1986، [153] كمـا تـم في نفـس السـنة، إلغاء الخط البحري الذي كان يربط الجزر بمليلية.

- حاضر ومستقبل الجزر الجعفرية

باعتبارهـا منطقـة خاضـعة لـلإدارة العسـكرية، فـإن نتـائج سياسـة الاحتـراف والتحـديث والعصـرنة التي انتهجتهـا القـوات المسـلحة الإسـبانية، ظهـرت بوضـوح في الجـزر الجعفريـة، حيـث تـم خـلال السـنوات الأخيـرة إعـادة تنظـيم المـوارد المتـوفرة، وتقليص عدد الجنود.

فقـد أدى تقلـيص عـدد الجنـود المتواجـدين بمليليـة نتيجـة سياسـة الاحتـراف التـي انتهجهـا الجـيش، إلـى تقلـيص عـدد حاميـة الجـزر الجعفريـة، وخصوصـا جنـود البحريـة، وبالتـالي عـدد المراكـب العاملـة بـالجزر، حيـث أعيـد إلى مليليـة في أواسـط عقـد التسـعينات، آخـر مركـب مـن مجموعـة المراكـب المتعـددة المهام التي كانت تنشط في الجزر الجعفرية.

في حـين، تـم خـلال سـنة 2000 سـحب سـفينة الشـحن مـن طـراز 399 TRB كابيطـان مـايورال، التـي كانـت تابعـة لوحـدة الـدعم اللوجيسـتيكي بمليليـة، ويسـيرها طـاقم مـدني تـابع لـوزارة الـدفاع، وكانـت مهامهـا تتمثـل في تـوفير المـؤن للجـزر الجعفريـة

---

[153] - Islas Chafarinas pág. 108.

وصخرتي النكور وبادس، وبعدها، أصبحت مهمات تغيير الطواقم، والتدخل في الحالات الطارئة، تتم بواسطة المروحيات.

هكذا، صارت المواصلات البحرية مع الجزر الجعفرية بعد سحب سفينة القبطان مايورال من الخدمة، محصورة في السفن الصهريجية التابعة للبحرية، والمخصصة لنقل المواد والمؤن، أثناء الرحلات التي تقوم بها لتزويد جنود الحامية بمياه الشرب. كما ألغيت خلال هذه السنوات النوبات الشهرية للخبازين والميكانيكيين العاملين التابعين لوزارة الدفاع.

من جانب آخر، ومع اندلاع أزمة 2002، على إثر التدخل المغربي في جزيرة تورة، عادت الحكومة للتركيز على الجزر، حيث جرى تعزيز حاميتها بفرق من الريغولاريس المتواجدة في مليلية، خصوصا بعد قيام زوارق تابعة للبحرية الملكية المغربية بمناورات بالقرب من الجزر. كما انتشرت تلك القوات في الجزيرتين غير المأهولتين كونغريسو والملك تحسبا لأية مفاجآت،و أرسلت وحدات أخرى لمراقبة محيط الأرخبيل. [154]

لكن، مع عودة الوضع إلى طبيعته، عادت تلك القوات، التي انتشرت بصفة استعجالية، إلى قواعدها في مليلية، وغرقت الجزر الجعفرية مرة أخرى في سباتها العميق.

154- ABC del 13/07/2002.

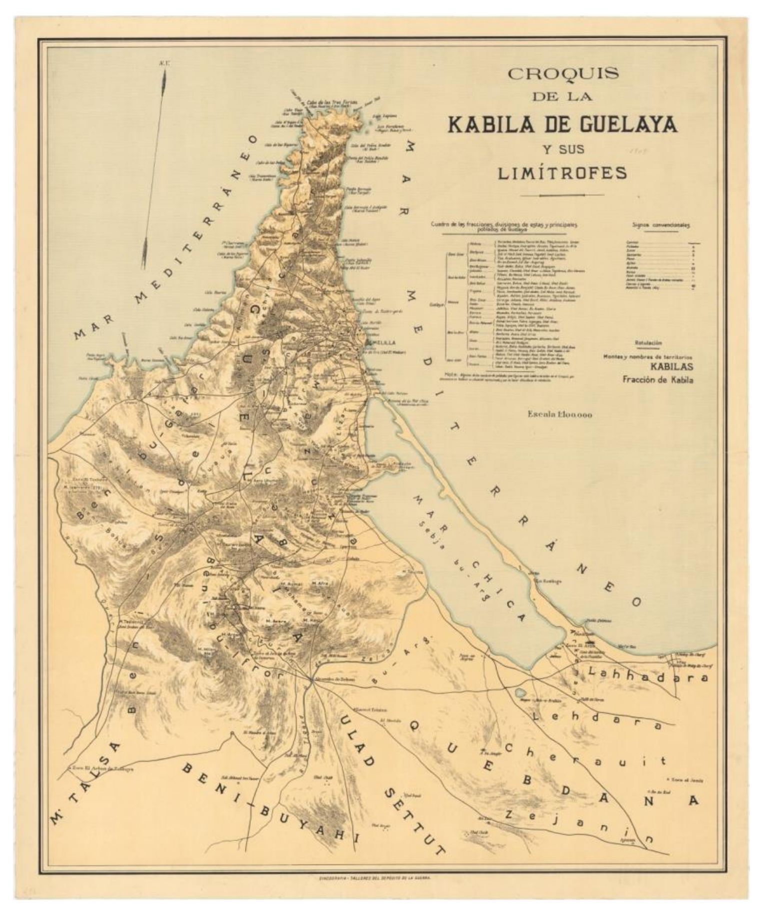
أمـا فـي السـنوات الأخيرة، فقـد شـرعت البحريـة في إخـراج السـفن الصـهريجية التـي تمـون الجـزر الجعفريـة وصـخرتي النكـور وبـادس وجزيـرة البرهـان مـن الخدمـة. وهـذا مـا يفـرض إعـادة النظـر في مسـتقبل التمـوين وإمـدادات المـاء، وفي هـذا الصـدد، اتجهـت الحكومـة، إلـى الاعتمـاد علـى التكنولوجيـات الحديثـة، والطاقـات المتجـددة، إذ وافقـت في نهايـة سـنة 2009، علـى إقامـة مولـد للميـاه الصـالحة للشـرب بواسـطة التكثيـف، وإقامـة محطـة للطاقـة الشمسـية لتلبيـة حاجيـات الرجـال[155] والنسـاء المسـئولين علـى اسـتمرار الوجـود الإسـباني فـي هـذا الجزر العزيزة على قلوبنا، والمتطلعة إلى المستقبل.

[155] - BOE nº 289 del 01/12/2009 y nº 294 del 07/12/2009.

الملاحق



صورة جوية للجزر الجعفرية



قبائل قلعية ومدينة مليلية من خلال خريطة إسبانية

المصدر:

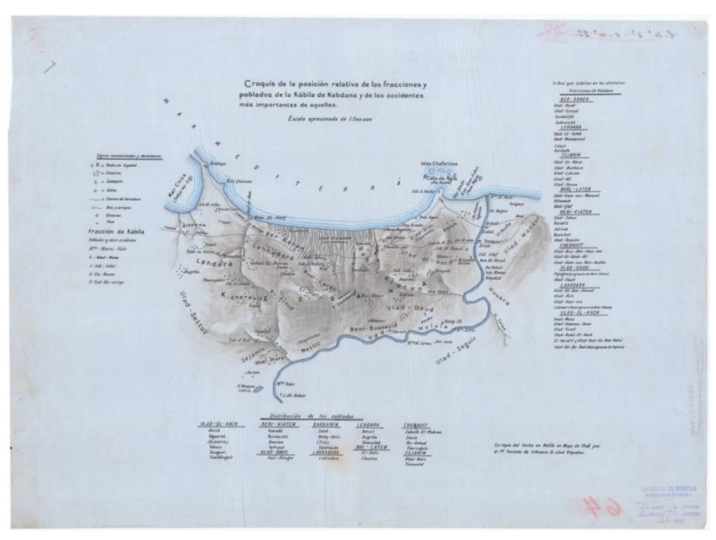
ArchivoCartográfico de EstudiosGeográficosdel Centro GeográficodelEjército — Colección: PCGE — Ubicación: DE — Signatura: MAR-C.1-012 — Código de barras: 9776564



خريطة يعود تاريخها إلى سنة 1903 تمثل المدن والجزر المغربية المحتلة من طرف إسبانيا

المصدر:

Archivo General Militar de Madrid — Colección: SH — Signatura: AT-1/51



قبيلة كبدانة والجزر الجعفرية ممثلة في خريطة إسبانية من القرن 19

المصدر:

ArchivoCartográfico de EstudiosGeográficosdel Centro GeográficodelEjército — Colección: PCGE — Ubicación: DE — Signatura: MAR-C.1-010 — Código de barras: 9776473

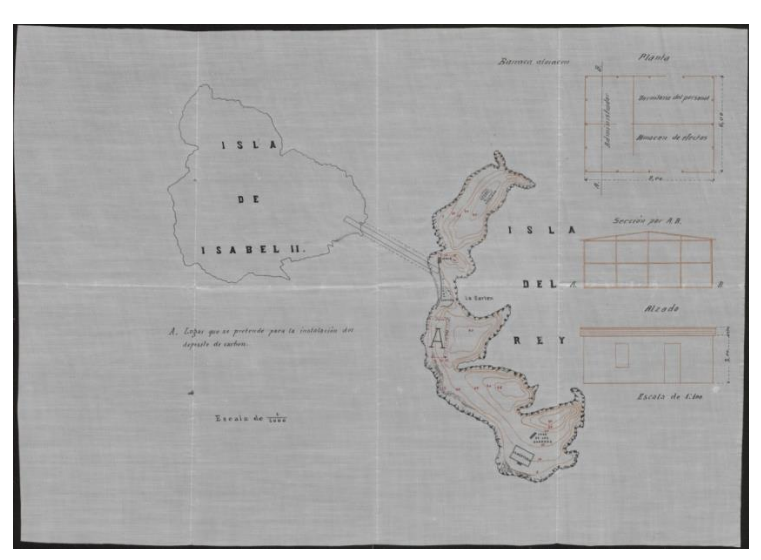


الشوارع والبنيات الرئيسة بجزيرة إيزابيلا الثانية من خلال

تصميم يعود لسنة 1907

المصدر:

Archivo General Militar de Segovia — Colección: ES-DFAMD — Signatura: Carpeta 2، Plano 33 — Notas: ID_Plan. 44



تصميم مخازن الفحم بجزيرة الملك

المصدر:

Archivo General Militar de Segovia — Colección: AMD — Ubicación: AGMS — Signatura: Carpeta 2، Plano 37 ID_46. — Código de barras: 9939813



كنيسة بجزيرة إيسابيلا سيغوندا

المصدر:

La IlustraciónEspañola y Americana, 22 de octubre de 1893



أسرى مغاربة بجزيرة إيسابيلا سيغوندا سنة 1909



معسكر راس الما

المصدر:FCOML



جزيرة إيسابيلا سيغوندا خلال السنوات الأولى من القرن العشرين



متمردو ثكنة خاكا أثناء وجودهم في الجزر الجعفرية

المصدر: *Foto: Zarco y López.*



الفرقيطة كاثادورا F35 بالمياه المحيطة بالجزر الجعفرية أثناء

أزمة جزيرة تورة

(جزيرة ليلى)سنة 2002



صورة جوية لجزيرة إيسابيلا سيغوندا

مصادرومراجع المؤلف

1- BARCÍA, María del Carmen (2003). Desterrados de la Patria. Cuba 1869 – 1898.La Habana:Universidad، nº 258 (2º semestre).

2 – BECKER, Jerónimo (1915). Historia de Marruecos. Madrid.

3- DEL REY, Miguel (2001). La Guerra de África. MedusaEdiciones.

4 - HERRÁN LÓPEZ, Ángel y AVILÉS، Juan (2003). El nacimientodelterrorismo en occidente. Ed. Siglo XXI.

5 - LÓPEZ CORDÓN, MaríaVictoria (1982). "La políticaexterior en la eraisabelina y el SexenioDemocrático". Historia de España , tomo XXXIV. Madrid: Espasa Calpe.

6- LÓPEZ TIRADO, Jacinto (2002). Islas Chafarinas, un paseo por su historia. Melilla: Ciudad Autónoma.

7 - MOGA ROMERO, Vicente (1988). "Melilla y las PlazasMenor es (Chafarinas، Vélez de la Gomera yAlhucemas) en el DiccionarioGeográfico-Estadístico-Histórico de España y sus posesiones de

ultramar(Madrid 1845-1850) Pascual Madoz". En:Aldaba nº 9. UNED de Melilla.

8 - MORALESY MENDIGUTÍA, Gabriel de (1909). Datos para la historia de Melilla.Melilla: Imp. El Telegrama del Rif.

9 - PASTOR GARRIGUES, Francisco. España y la apertura de la cuestiónmarroquí (1897 – 1904). Tesis doctoral. http://hdl.handlenet/10803/9958.

VILLAR، María José (2006)."España, Alemania y las islas Chafarinas en vísperas del replanteamiento de la cuestión marroquí". Studia histórica. Historia Contemporánea، nº 24; págs. 207 – 229.

10 - VIRUELA MARTÍNEZ, Rafael (1995)." Expansión y crisis de la actividadpesqueravalenciana en el siglo XIX". Investigacionesgeográficas nº 13; págs. 117 – 133.

E-KUTUB
Publisher of publishers
Amazon & Google Books Partner
No 1 in the Arab world
Registered with Companies House in England
Under Number:07513024
Email: ekutub.info@gmail.com
Website: www.e-kutub.com
Germany Office: In der Gass 10,
55758 Niederwörresbach,
Rhineland-Palatinate
UK Registered Office:
28 Lings Coppice,
London, SE21 8SY
Tel: (0044)(0)2081334132